

رَبِّهِمْ

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

سورة ص، الآية ٢٩

الاهداء:

الي روح الحاج حسن العالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سادة الأساتذة والباحثين و الهواة الأكارم
تحية إجلال و إكرام، و بعد؛
تفضلوا علينا بإبداء ملاحظاتكم و آرائكم
حول هذا الكتاب، عبر البريد الإلكتروني التالي:
p.mftqs@chmail.ir
أو الناسوخ (الفكس) ٠٥١٣٨٥٢٨٤٣٦ أو إرسال
رسائل نصيَّة إلى الرقم التالي: ٣٠٠٠٥٩١٥

قسم البحوث لمؤسسة التدبیر في القرآن والسيرة

رسالة التدبّر الترتيبيّ في القرآن أسس و مبادئ و منهج

حجة الإسلام والمسلمين محمّد حسين إلهيّ زاده

تأليف: إلهي زاده، محمد حسين

العنوان و المؤلف: رسالة التدبر الترتيبي في القرآن أسس، و مبادئ، و منهج؛ تعريب: حميد عباس زاده
مواصفات النشر: مشهد- المؤسسة الثقافية للتدبر في القرآن والسيره / ٢٠١٤ م
المواصفات الشكلية: ١٦٠ ص

ردمك: ٩٧٨-٦٠٠-٩٥٥٧٧-٨-٣

نظام الفهرسة: فيبا

٢٩٧/١٥٩

BP٦٥/٤/الف٧٥٠٤٣ ١٣٩٥

الرقم الوطني للكتاب: ٤٢١٣٤٣٤



مؤسسه تدبر و قرآن و سيره

الكتاب: رسالة التدبر الترتيبي في القرآن (أسس، مبادئ و منهج)
المؤلف: حجة الإسلام والمسلمين محمد حسين إلهي زاده
تعريب: حميد عباس زاده (عضو الهيئة التدريسية في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية)
بحث وتدوين: علي شيخ زاده، علي توکلي زاده و صادق توکلي زاده
تنضيد وإخراج ومراجعة: غلام رضا محمد زاده
تدقيق ومراجعة التنضيد: خديجة شجاع و فاطمة محمد زاده
الناشر: التدبر في القرآن والسيره
الشؤون الفنية والطبع: مطبعة العتبة الرضوية المقدسة
رقم الطبعة: الأولى
سنة النشر: ١٣٩٥ ش / ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م
ردمك: ٩٧٨-٦٠٠-٩٥٥٧٧-٨-٣
عدد النسخ: ١٠٠٠
السعر: ١٢٠٠٠٠ ريال

حقوق الطبع و التوزيع محفوظة

مشهد مقدس، ميدان ده دي، جنب رازی ٨ تلفن: ٩-٣٨٥٥٢٤٠٨

وبگاه: www.mftqs.com رایانامه: tadabbor@chmail.ir

فهرس العناوین

مقدمة.....	١١
مبادئ التدبر في القرآن	
الأول. معنى التدبر.....	١٤
أ. المادة.....	١٤
ب. الهيئة.....	١٦
التعريف الاصطلاحي للتدبر في القرآن.....	٢١
الثاني. ضرورة التدبر وأهميته.....	٢٥
أ. آيات التدبر.....	٢٥
ب. روايات التدبر.....	٢٥
ج. التدبر من منظور علماء الدين.....	٢٦
الثالث. تقسيمات التدبر.....	٣٠
الرابع. الفرق بين التدبر وبقية الأنشطة القرآنية الأخرى.....	٣٢
الفرق بين التدبر و الترجمة.....	٣٢
الفرق بين التدبر و التفسير.....	٣٢
الفرق بين التدبر و التفسير بالرأي.....	٣٦
الفرق بين التدبر و التطبيق.....	٣٧
الفرق بين التدبر و التأويل.....	٣٧
الخامس. آثار التدبر.....	٣٨

مبادئ التدبر في القرآن

الأول. جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ.....	٤٢
أ. الأدلة القرآنية.....	٤٢
١. استخدام كلمة كتاب.....	٤٢
٢. الجمع الإلهي للقرآن.....	٤٣
٣. مناقشة المشركين حول الكتاب.....	٤٣
٤. استعمال القرآن و الكتاب إلى جانب بعضهما.....	٤٤
٥. استخدام كلمة "الصحيفة" و "الصحف".....	٤٤
٦. آيات التحدي.....	٤٥
ب. الأدلة الروائية.....	٤٥



١. تعيين موضع الآيات..... ٤٥
٢. أخذ المصحف من رسول الله ﷺ..... ٤٧
٣. النظر إلى المصحف..... ٤٧
٤. السَّفَر مع المصحف..... ٤٨
٥. عبارة «ما بين الدَّقَتَيْن»، ودلالاتها على أنَّ القرآن مكتوب..... ٥٠
٦. فاتحة الكتاب..... ٥٠
٧. حديث الثقلين المتواتر..... ٥٠
٨. ثلث القرآن، ورُبُّعه..... ٥١
٩. تقسيم القرآن..... ٥١
١٠. شعار حسبنا كتاب الله..... ٥٢
١١. تأليف القرآن من الرقاع..... ٥٢
- ج. الدليل العقلي..... ٥٣
- نظم غير بشري..... ٥٤
- د. رأي العلماء..... ٥٥
- الثاني. القرآن لا يقبل التحريف..... ٥٦
- أدلة على عدم تحريف القرآن..... ٥٦
- أ. دليل قرآني..... ٥٧
- ب. الأدلة الروائية..... ٥٨
- ج. الإجماع..... ٥٨
- د. العقل..... ٥٩
- الثالث لغة القرآن..... ٦٠
- خصائص لغة القرآن..... ٦٠
- أولاً. شفهيّة لغة القرآن..... ٦٠
- ثانياً. واقعيّة لغة القرآن..... ٦١
- ثالثاً. أفضليّة الأدب القرآنيّ على الأدب العربيّ..... ٦١
- رابعاً. عرفيّة لغة القرآن (لغة العرف العامّ)..... ٦٢
- أسس التدبر في القرآن
- الأول. وضوح القرآن وبلاغته..... ٦٦
- الأدلة القرآنيّة..... ٦٧

٦٨.....	دلیل روائی.....
٦٨.....	الثانی. الاعتماد علی ظاهر الألفاظ.....
٦٨.....	الثالث. الرؤیة التکاملیة للآیات.....
٦٩.....	الرابع. النهج الإرشادی.....
أسلوب التدریج فی القرآن	
٧٢.....	تفهّم النصّ.....
٧٣.....	١. التفهّم.....
٧٣.....	أ. الفهم السباقی.....
٧٤.....	ب. الفهم السباقی.....
٧٤.....	ج. الفهم القیاسی.....
٧٦.....	د. الفهم التکاملی.....
٧٦.....	ه. الفهم الإرشادی.....
٧٧.....	٢. عمومیة التدریج.....
٧٨.....	٣. منهجیة التدریج.....
٧٩.....	٤. ظاهر القرآن.....
٧٩.....	الأول. الأدلة القرآنیة.....
٧٩.....	الثانی. الأدلة الروائیة.....
٨١.....	الثالث. سیرة العقلاء.....
٨١.....	نطاق ظاهر القرآن.....
٨١.....	الرأی المشهور.....
٨٣.....	دراسة و نقد.....
٨٦.....	٥. نصّ القرآن الکریم.....
٨٦.....	٦. أسس تفهّم النصّ وقواعده.....
٨٦.....	الأول. نظرة بسیطة وخالصة للقرآن.....
٨٧.....	الثانی. الدلالة، ولبس التقفیة.....
٨٧.....	الثالث. عدم الترادف فی القرآن.....
٨٨.....	الرابع. استخدام الحروف فی معناها الأصلي.....
٨٨.....	الخامس. أصالة الحقیقة.....
٨٩.....	السادس. التأسیس أولى من التأكید.....



- ٩٠..... السابع. ضرورة متابعة السياق.....
- ٩٠..... الثامن. القراءة المتكررة.....
- ٩١..... خطوات التدبر في القرآن.....
- ٩١..... الخطوة الأولى: تفهّم النصّ بأسلوب فهم معاني المفردات والجمل الصعبة للآيات والسُّور.....
- ٩٢..... الخطوة الثانية: تفهّم النصّ بأسلوب فهم بناء الآيات والسُّور.....
- ٩٢..... أولاً. مبادئ استكشاف البناء.....
- ٩٣..... ثانياً. مباني استكشاف البناء.....
- ٩٣..... وجود نظم هادف، وبناء في السُّور.....
- ٩٤..... الأدلة القرآنيّة.....
- ٩٤..... أ. رسم حدود الآيات باسم سورة.....
- ٩٤..... ب. التحذّي بالسورة، وليس بالآيات.....
- ٩٤..... الأدلة الروائيّة.....
- ٩٧..... الدليل العقليّ.....
- ٩٧..... عدم النظم ليس كاملاً؛ بل عيب.....
- ٩٧..... ثالثاً. أسس استكشاف البناء.....
- ٩٧..... ١. الأصل هو الاتصال، وليس الانقطاع.....
- ٩٧..... ٢. معيار تقسيم الآيات، هو الاتصال السياقيّ.....
- ٩٨..... رابعاً. أسلوب استكشاف البناء؛ ونموذج له.....
- ١٠٠..... عوامل الانسجام والتماسك الأدبيّ.....
- ١٠٠..... ١. ضمير الغياب.....
- ١٠٠..... ٢. حرف العطف.....
- ١٠١..... ٣. اسم الإشارة.....
- ١٠١..... ٤. الخبر (المسند).....
- ١٠١..... ٥. الصفة.....
- ١٠١..... ٦. الحال.....
- ١٠١..... ٧. المفعول.....
- ١٠٢..... ٨. التأكيد.....
- ١٠٢..... ٩. البديل.....
- ١٠٢..... ١٠. عطف البيان.....

١٠٣.....	١١. الظرف و المظروف.....
١٠٣.....	١٢. الاستثناء.....
١٠٣.....	١٣. جواب الشرط.....
١٠٣.....	١٤. جواب القسم.....
١٠٣.....	١٥. التعلیل.....
١٠٣.....	١٦. التقابل.....
١٠٤.....	١٧. الآيات المعترضة.....
١٠٧.....	الخطوة الثالثة: تفهم النص بأسلوب فهم الجهة الإرشادية للآيات والسُّور.....
١٠٧.....	أولاً. مبادي استكشاف الجهة.....
١٠٧.....	١. أجواء النزول.....
١٠٧.....	٢. شأن النزول، وسبب النزول.....
١٠٨.....	ثانياً. مباني استكشاف الجهة.....
١٠٨.....	١. منزلة القرآن في هداية البشر.....
١٠٩.....	خصائص هداية القرآن.....
١٠٩.....	الأول. عامة، وموجهة.....
١٠٩.....	الثاني. عرفانية، سياسية، اجتماعية.....
١٠٩.....	الثالث. عقلانية.....
١١٠.....	الرابع. ولانئية.....
١١٠.....	الخامس. الوحدوية.....
١١١.....	السادس. الواقعية.....
١١١.....	السابع. الأخروية.....
١١٢.....	الثامن والتاسع. المرحلية، والنزعة التثايرية.....
١١٢.....	٢. استقلال السورة، وتبعية الآيات.....
١١٦.....	٣. التناسب والعلاقة بين أجزاء الكلام الإلهي.....
١١٨.....	٤. تسمية السُّور، و دورها في تعيين جهة هداية السورة.....
١١٩.....	٥. وجود منحي إرشادي واحد في كل سورة.....
١١٩.....	الدليل الأول. ترتيب آيات كل سورة توقيفي.....
١٢٠.....	الدليل الثاني. حصر عدة آيات في عنوان الـ«سورة».....
١٢١.....	الدليل الثالث. بيان غرض خاص لسورة واحدة.....



١٢٢	الدليل الرابع. الروايات التي تبين خواصَّ السُّور، وفضائلها.....
١٢٣	٦. القرآن كتاب منسَّق.....
١٢٣	أسباب نفي التناقض في القرآن.....
١٢٣	أ. الأدلَّة القرآنيَّة.....
١٢٦	ب. الأدلَّة الروائيَّة.....
١٢٨	٧. نظم الهداية في القرآن.....
١٢٩	ثالثاً. أسس استكشاف الجهة.....
١٢٩	١. الاهتمام بأركان الجملة، واستكشاف الجهة.....
١٢٩	٢. تكرار الكلمات والجمل، ومكانته في استكشاف الجهة.....
١٣٠	٣. صدر الكلام أصل الكلام.....
١٣٠	٤. علاقة بداية السورة بنهايتها، وتحديد الجهة.....
١٣٠	٥. عُرر الآيات والمظاهر العرفيَّة، وتأثيرها في محوريَّة السورة.....
١٣١	٦. نظرة إجمال إلى التفصيل.....
١٣١	٧. دراسة الآيات المركزيَّة واستكشاف الجهة.....
١٣١	رابعاً. استكشاف الجهة: أسلوب ونموذج.....
١٣٢	خطوات نحو الفهم السياقي لاستكشاف جهة الهداية.....
١٣٢	الخطوة الأولى. فهم المفردات.....
١٣٢	الخطوة الثانية. فهم علاقة الكلمات.....
١٣٢	الخطوة الثالثة. فهم علاقة الجمل.....
١٣٤	استكشاف الجهة الإرشاديَّة لسياق واحد.....
١٣٨	كيفية أخذ أجواء الكلام عن نصِّ القرآن.....
١٣٩	أضواء على مطابقة أجواء النزول لآيات سورة القلم.....
	التدبير في سورة الليل
١٤٢	التعريف بالسورة.....
١٤٢	الخطوة الأولى: تفهُّم الكلمات و الجمل الصعبة.....
١٤٣	الخطوة الثانية: تفهُّم بناء السورة.....
١٤٥	خطوة الثالثة. تفهُّم الجهة الإرشاديَّة للسورة.....
١٥١	فهرس المصادر.....
١٥٥	لمحة خاطفة عن المؤسَّسة: سماتها و ميزاتها.....

مقدمة

كلّ الكون هو فعل الله القائم بالقسط و العدل و لا يوجد فيه أدنى خلل و اختلاف: ﴿...مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^١.

على هذا الأساس فإن كتاب التكوين وكتاب التشريع متناغمان فيما بينهما. فأيات كتاب التكوين هي العالم (العالم الكبير) و الإنسان (العالم الصغير)، و آيات كتاب التشريع هي الحجج الإلهية (كتاب التشريع الناطق) و الكتب السماوية (كتاب التشريع الصامت). جميع الأنبياء و الأولياء الإلهيين في تناغم مع بعضهم و مع الأئمة الأطهار عليهم السلام كما أن الكتب السماوية متناغمة مع بعضها و مع القرآن الكريم الذي يهيمن عليها جميعها. و أخيراً فإن الأيات داخل جميع الكتب التكوينية و التشريعية متناغمة مع بعضها كما أن الأجزاء الداخلية للقرآن الكريم أيضاً هي في قمة التناغم و الإنسجام فيما بينها، بمعنى أن ألفاظ القرآن (على جميع المستويات: الكلمات في الآيات، الآيات في السور، السور في كلّ القرآن)، المواضيع و أغراضها منسجمة فيما بينها.

١ . سورة الملك، الآيات ٣-٤ .

إن التنسيق على جميع هذه المستويات هو نتيجة تدبير الله الأبدي و التدبر هو الفهم الواعي لهذا التدبير. القرآن الكريم مآدبة سماوية تم فرشها في هذا العالم ليستفيد منها البشر، و التدبر طريق شامل لتعميم الفهم المنظم و المنسق لمعاني و مواضيع و توجيهات القرآن الكريم. لقد دعا كتاب الله و العترة الطاهرة عليهم السلام أيضاً إلى التدبر في القرآن معتبرين أن ذلك أحد أهداف نزول كلام الوحي وهو الطريق الطبيعي للتذكر واستفادة أصحاب العقل الخالص من نبع الوحي الصافي.

تدبر القرآن بمعنى تفهم نص القرآن؛ يعني فهم الشيء الذي يقوله القرآن. فأصل فن التفهيم هو عمل القرآن. كما يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^١. إن السطور التي بين أيدينا تدرس مبادئ و أسس وأساليب فهم تدبير الله الحكيم في كتاب التشريع الصامت الشامل؛ يعني القرآن الكريم وهذا هو التدبر في القرآن. و حريّ بنا أن نقدّم خالص الشكر إلى جميع الذين أدّوا دوراً في هذا الكتاب بدايته و خاتمته، و لا سيّما أصحاب السماحة و الفضيلة كلّ من حجة الإسلام و المسلمين السيّد علي شيخ زاده، و حجة الإسلام و المسلمين السيّد علي توكلّي زاده، و حجة الإسلام و المسلمين السيّد علي أكبر تقي زاده.

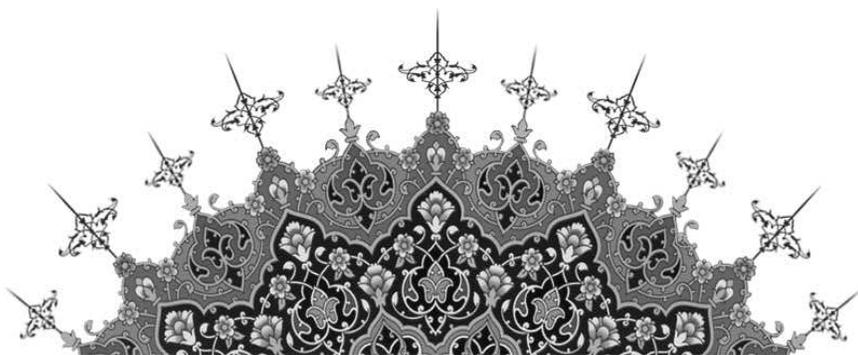
مؤسسة التدبر في القرآن والسيرة

مشهد المقدّسة

١٢ ارييهشت ماه ١٣٩٥ ش

الموافق ل ١٣ رجب المرجب ١٤٣٧ هـ

ذكرى ولادة الإمام العلي عليه السلام



مبادئ التدبّر في القرآن

الأول. معنى التدبر

التعريف الصحيح «للتدبر في القرآن» يقوم على التعرف على المفهوم اللغوي لكلمة «التدبر». كما أنّ التعرف على المفهوم يحتاج إلى دراسة معنى «المادّة» و«الهيئة» لهذه الكلمة في القرآن و المصادر اللغويّة أيضاً. مادة التدبر «د ب ر» و هيئته «تفعل». إنّ «الجزر» و «المهيكل» هما العنصران الأساسيّان لمفهوم كلمة ما، كما أنّ اختلاف كلّ واحدٍ منهما يميّز مفاهيم الكلمات عن بعضها؛ بالطبع تمثّل «المادّة» في هذا السياق دوراً أكبر. إنّ البعض بتغاضيهم عن هذا الأمر الهامّ قد اعتبروا معنى بعض الكلمات المختلفة واحداً؛ لكن يبدو أنّ هذه نظرة متساهمة، وهي ممكنة فقط في المحاورات العادية و العامة و ليس في القرآن الكريم البعيد عن التسامح في التعبير. بهذه الطريقة فإنّ اعتبار «التدبر»، «التفكير»، «التفسير»، «التأويل» و ما شابه ذلك، شيئاً واحداً - بصرف النظر عن عدم وجود دقّة علميّة - يؤدّي إلى قلة الاستفادة من بركات المعارف القرآنيّة، و عدم التوفيق في العمل بالأوامر الإلهيّة.

الآن سنطرق لتعريف «التدبر» من خلال دراسة دقيقة لمادّته و هيئته:

أ. المادّة

إنّ إلقاء نظرة سريعة على رأي خبراء اللغة يوضّح معنى مادّة التدبر: «الدُّبْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: عَقْبُهُ وَ مُؤَخَّرُهُ»^١؛ «مَا أَدْبَرَ عَنْهُ الْإِنْسَانُ»^٢؛ «أَجْرَ الشَّيْءِ وَ خَلْفَهُ خِلَافٌ قَبْلَهُ»^٣؛ «إِنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ مَا يُقَابِلُ الْقَبْلَ وَ الْإِقْبَالَ، وَ هَذَا الْمَفْهُومُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الصِّيغِ وَ الْهَيْئَاتِ وَ الْمَوَادِّ»^٤.

١. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٦، ص ٣٨٣.

٢. الفيومي، أحمد بن أحمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ٢، ص ١٨٨.

٣. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٢٤.

٤. مصطفىوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٧٤.



- على هذا الأساس، مادة «دبر» في اللغة بمعنى «العقب» و«خلف» الشيء.^١
- لكلمة «التدبير» استخدام قرآني أيضاً:^٢
١. دابر^٣: ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^٤.
٢. دُبر^٥: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِوَعْدٍ مُبَدَّلٍ مِنْهُ﴾^٦.
- أدبار^٧: ﴿إِنْ يَقَاتِلْوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ﴾^٨...مَنْ قَبْلَ أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا فَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾^٩
- ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾^{١٠}.
- أدبر^{١١}: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾^{١٢}.
- إدبار: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجُّهُوَ إِذْ بَارَ النُّجُومَ﴾^{١٣}.
- مُدبر: ﴿فَلَمَّارَةٌ أَهَاتُهُتَزَّ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلِي مُدْبِرًا﴾^{١٤}.

-
١. لسان العرب، المصباح المنير، صحاح الجوهري، المفردات و بقية المعاجم العربية لديها عبارات مشابهة حول ذلك.
٢. هذه المادة استخدمت في القرآن ٤٤ مرة و يلحذى عشرة طريقة.
٣. «دابر كل شئ آخره و ما يتأخر من الشئ و قطع الدابر عبارة عن الانقطاع و انقضاء الآخر بحيث أن لا يكون جريانه مداوماً». التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٧٤ . ١٧٥.
٤. سورة الأنعام، الآية ٤٥.
٥. يطلق على كل ما هو متأخر و تابع. التحقيق في كلمات القرآن، ج ٣، ص ١٧٥.
٦. سورة الأنفال، الآية ١٦.
٧. جمع «دُبر».
٨. سورة آل عمران، الآية ١١١.
٩. سورة النساء، الآية ٤٧.
١٠. سورة الحجر، الآية ٦٥.
١١. «يقال أدبر أي صار ذا دبر، و أدبر عنه أي جعله في دبره و هو مدبر». التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٧٥.
١٢. سورة المعارج، الآية ١٧.
١٣. سورة الطور، الآية ٤٩.
١٤. سورة النمل، الآية ١٠.

- مدبرين: ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَتْ مُدْبِرِينَ ﴾^١ .
 يُدْبِرُ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدْبِرُ الْأَمْرَ ﴾^٢ .
 الْمُدْبِرَاتُ: ﴿ فَالْمُدْبِرَاتُ أُمْرًا ﴾^٣ .
 يَتَدَبَّرُونَ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^٤ .
 يَدَّبَّرُوا: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾^٥ .

إنّ العديد من مترجمي القرآن إلى اللغة الفارسيّة قد ترجموا الاشتقاقات السبعة الأولى وفقاً للمفهوم الأصليّ لمادة «دبر»، «العقب» أو «خلف» لكن في الاشتقاقات المتعلقة بباب «تفعيل = تدبير» و «تفعّل = تدبر» فقد تغاضوا عن معنى المادّة والهيئة، واستخدموا الكلمة العربيّة «التدبير» و «التدبر» في الترجمة؛ كما اعتبر البعض «التدبر» بمعنى «التأمل» و «التفكير»، لكن يجب العلم أنّه تم قبول المعنى المذكور آنفاً لهذه المادّة (خلف، وراء) في جميع اشتقاقاتها، كما أنّ آيات القرآن تؤيّد ذلك؛ وفي اللغة أيضاً يوجد المعنى الأساسيّ للمادّة في اشتقاقاتها.

ب. الهيئة

يعتبر خبراء اللغة أنّ هيئة «تفعّل» مطاوعة لـ «تفعيل»^٦، لذلك من أجل تحديد معنى «التدبر» فلا بدّ من دراسة مفهوم «التدبير».

في مصادر اللغة وردت معانٍ كثيرة للتدبير:

١. سورة التوبة، الآية ٢٥.
٢. سورة يونس، الآية ٣.
٣. سورة النازعات، الآية ٥.
٤. سورة محمد، الآية ٢٤.
٥. سورة ص، الآية ٢٩.
٦. التحقيق في كلمات القرآن، ج ٣، ص ١٧٦ «دبر».



﴿التَّدْبِيرُ: النَّظَرُ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ﴾^١

﴿التَّدْبِيرُ: التَّفَكُّرُ فِي دَبْرِ الْأُمُورِ﴾^٢

﴿و أما التدبير تصيير الشيء ذا عاقبة بأن يكون الشيء على عاقبة حسنة ونتيجة مطلوبة و هذا معنى العمل عن فكر و رويّة... معنى التدبير بالنسبة إلى الله تعالى معلوم وتدبيره تعالى عبارة عن تنظيم أمور العالم وترتيبه وجعل الأمور على أحسن نظام وأتقن صنع منتج﴾^٣.
المعنى الأول والثاني غير مقبولين؛ لأنّ «النظر» و «التفكر» جنس للتعريف، لكن ليس لهما علاقة واضحة بمادة وهيئة التدبير؛ على الرغم من أنّ تنمة هذين التعريفين «في عاقبة الأمر» و «في دبر الأمور» وهما مرتبطان بمعنى التدبير، التدقيق في التعريف الثالث يظهر أنّ التعريفين السابقين هما من لوازم التدبير.

المادة اللغوية والبنية اللفظية للتدبير يقتضي «التنظيم والترتيب بحكمة». هذا المعنى يتوافق مع التعريف الثالث كما أنّ الاستعمالات القرآنية تؤكده أيضاً: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^٤

كتب العلامة الطباطبائيّ:

" التدبير هو الإتيان بالشيء عقيب الشيء، ويراد به ترتيب الأشياء المتعددة المختلفة ونظمها بوضع كلّ شيء في موضعه الخاصّ به، بحيث يلحق بكلّ منها ما يقصد به من الغرض والفائدة ولا يختلّ الحال بتلاشي الأصل وتفاؤد الأجزاء وتزاحمها.
ثمّ يكتب:

يقال دبّر أمر البيت أي نظمّ أموره والتصرفات العائدة إليه، بحيث أدّى إلى صلاح شأنه

١. تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٦، ص ٣٨٩.

٢. مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٠٧.

٣. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٧٥.

٤. سورة الرعد، الآية ٢.

وتمتّع أهله بالمطلوب من فوائده. فتدبير أمر العالم نظم أجزائه نظماً جيّداً مُتقناً بحيث يتوجّه به كلّ شيءٍ إلى غايته المقصودة منه، وهي آخر ما يمكنه من الكمال الخاصّ به ومنتهى ما ينساق إليه من الأجل المسمّى وتدبير الكلّ إجراء النظام العامّ العالميّ، بحيث يتوجّه إلى غايته الكليّة وهي الرجوع إلى الله وظهور الآخرة بعد الدنيا.^١

فبحسب رأيه «التدبير» هو ترتيب الأشياء المتعدّدة المختلفة وراء بعضها بحيث يوضع كلّ شىء في موضعه الخاصّ به ليترتّب عليه حصول الغرض والفائدة والمقصود، كما أنّ ترتيب العالم من قبل الله يتمّ بنظم أجزائه نظماً جيّداً مُتقناً، بحيث يصل كلّ شىء إلى غايته ويسير إليها: «التدبير» في الكلام والكتابة أيضاً بمعنى أن تأتي حروف وكلمات ذلك المقال وراء بعضها ونظمها نظماً مُتقناً؛ لذلك فالتدبير لا يُطلق على أيّ ترتيب للأشياء وراء بعضها، بل يجب أن يكون تتابع تلك الأعمال أو الألفاظ والعبارات، بحيث يؤدّي إلى المقصود، يعني بحكمة.

إنّ الأمر بالتدبّر في القرآن والاهتمام بمعناه المطاوعيّ هو مؤشّر على التدبير في القرآن. حسب التعاريف والتوضيحات التي ذكرناها فقد اتّضح أنّ «تدبير القرآن» معناه أنّ الله تعالى قد وضع الألفاظ والحروف والكلمات عقب بعضها بطريقة خاصّة وحكيمة ومُتقّنة، وربّتها ليصل إلى هدفه ومقصوده.

القرآن الكريم أو أيّ كلامٍ آخر هو نتيجة تدبير الحروف، الكلمات، العبارات والجمل إلى جانب بعضها، مثل منظومة السيّارات والثابتات التي هي نتيجة تدبيرها بجانب بعضها. إنّ خصوصية كلام الله أيضاً مرتبطة بتدبيره الخاصّ؛ لأنّ كلمات القرآن لم تكن خاصّة به؛ بل كانت تجري على ألسنة العرب أيضاً؛ إذاً التدبير في الكلام شأن التكليم ووصفه.

أمّا الآن بعد تبين معنى التدبير، فنتناول معنى التدبّر. «التدبّر» مطاوعة «التدبير».



كتب مصطفوي:

«وأما التدبّر، فهو تفعل لمطاوعة التفعيل، فحقيقة معناه حصول مفهوم التدبير واختيار ذلك المفهوم، فيقال دبّر الأمر، فتدبّر الأمر...»^١

المادة اللغويّة والبنية اللفظيّة «للتدبّر» تستدعيان أن نعتبره «تلقي (المطاوعة) الترتيب الحكيم المتقن، (التدبير)». يقوم البعض بدون استنتاج صحيح للمادّة والهيئة بتعريف «التدبّر» كما يلي:

﴿التدبير أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته والتدبّر التفكّر فيه﴾^٢

﴿التدبّر التفكير أي تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفة ثالثة﴾^٣

في التعريف الأول لم يكن للمادّة دور في أصل المعنى، وفي التعريف الثاني نُسيت المادة و الهيئة.

التدبّر ليس مطاوعة قسريّة للتدبير من قبل الحروف والأشياء الخارجيّة، لأنّه لُوحظَ في معنى مطاوعة التدبّر ضربٌ من الإرادة والوعي؛ على عكس معنى المطاوعة في باب الانفعال، لذلك إذا كانت المطاوعة اللاإراديّة للحروف أو الأشياء الخارجيّة في قالب اللفظ، فإنّها تظهر على شكل «اندبار». إذاً التدبّر هو القبول والكشف الواعي للتدبير الحاصل في الأشياء أو الكلام. فحيث يتمّ تدبير الأشياء العينية الخارجيّة، يُطرح تدبّرها وفهمها وقبولها، وحيث يطرح تدبير الكلام فسوف يحصل «التدبير الموجود في الكلام» من قبل المخاطبين، وهذا نفس العنصر الذي يجعل التدبّر طريقاً لفهم النظم الخاص للقرآن والإيمان بأنه إلهي. إذاً «تدبّر القرآن» في اللغة معناه «فهم الترتيب الحكيم لآيات القرآن». كما أن الاستعمالات القرآنية «للتدبّر»

١. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٧٦.

٢. لسان العرب، ج ٤، ص ٢٧٣.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٦، ص ٣٨٩.

٤. «التدبير الموجود في الكلام»، يعني صيغة مصدر التدبير. يعني ذلك النظم وترتيب الكلام الذي وجد نتيجة الخطاب الحكيم لله.

تؤكد هذا المعنى أيضاً:

١. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١

كتب العلامة الطباطبائي^٢:

التدبر هو أخذ الشيء بعد الشيء، وهو في مورد الآية التأمل في الآية عقيب الآية أو التأمل بعد التأمل في الآية؛ لكن لما كان الغرض بيان أنّ القرآن لا اختلاف فيه، وذلك إنّما يكون بين أزيد من آية واحدة، كان المعنى الأول أعني التأمل في الآية عقيب الآية هو العمدة وإن كان ذلك لا ينفي المعنى الثاني أيضاً. فالمراد ترغيبهم أن يتدبروا في الآيات القرآنية، ويراجعوا في كلّ حكمٍ نازل أو حكمة مبيّنة أو قصّة أو عظة أو غير ذلك، جميع الآيات المرتبطة به مما نزلت مكيتها ومدنيتها، ومحكمها ومتشابهها، ويضمّوا البعض إلى البعض حتى يظهر لهم أنّه لا اختلاف بينها، فالآيات يصدّق قديمها حديثها، ويشهد بعضها على بعض، من غير أن يكون بينها أيّ اختلاف مفروض: لا اختلاف التناقض بأنّ ينفي بعضها بعضاً أو يتدافع، ولا اختلاف التفاوت بأنّ يتفاوت الآيتان من حيث تشابه البيان أو متانة المعاني والمقاصد بكون البعض أحكم بياناً وأشدّ ركناً من بعض، كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه الجلود.^٢

على أساس ظاهر الآية الذي يفيد «نفي وجود الاختلاف والتناقض في القرآن» ومع ما نقلناه من كلام العلامة، فإن «التدبر في القرآن» هو «اكتشاف التنسيق والوقوف على الترتيب الحكيم للقرآن».

٢. ﴿كَيْتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^٣

كتب العلامة أسفل هذه الآية:

في هذه الآية كلام عن إنزال الكتاب، وتوصيفه بالإنزال المشعر بالدفعه دون التنزيل الدالّ

١. سورة النساء، الآية ٨٢.

٢. انظر: الميزان، ج ٥، ص ١٩.

٣. سورة ص، الآية ٢٩.

على التدرّيج؛ لأنّ ما دُكِرَ من التدبّر والتذكّر يناسب اعتباره مجموعاً لا نجومًا مفرّقة.^١
على هذا الأساس، فإنّ التدبّر يناسب اعتبار مجموع الكتاب وهو لا يخلو من الإشعار
بمفهوم «تلقي (المطالعة) النظم والترتيب المتوالي والمجموعي».

التعريف الاصطلاحيّ للتدبّر في القرآن

إلى الآن تمّ تقديم تعاريف كثيرة «للتدبّر في القرآن» سنشير إلى بعض منها:

١. السيّد عبدعليّ بازركان في كتاب "متدولوژی تدبّر در قرآن" (منهجية التدبّر في القرآن)، يفسر التدبّر بالتفكّر والتأمل في القرآن^٢، ورد في هذا الكتاب بعض قواعد التدبّر في القرآن، لكنّ لم يفصل التدبّر والتفكّر والتفسير عن بعضها، ولم يقدّم آليّة و حلّ واضح و شفاف للتدبّر.

٢. السيد ولي الله نقي بور في كتابه المعنون بـ "پژوهشی پیرامون تدبّر در قرآن" (بحث حول التدبّر في القرآن) عرّف التدبّر على أنه التلاوة الصحيحة للقرآن^٣. في هذا الكتاب تم توضيح مفهوم و أسلوب التدبّر بطريقة تشمل التفكّر والتفسير وحتى كشف الباطن والتأويل أيضاً؛ على أنه من وجهة نظر مؤلف هذا الكتاب فإنّ تتبّع سير الآيات ودراسة كيفية ارتباطها ببعضها من أجل كشف الانسجام والتوافق وعدم وجود الاختلاف في القرآن هو من معاني التدبّر أيضاً.

يذكر مؤلّف كتاب التدبّر في القرآن، مفاتيح وشروطاً عامّة للتدبّر مثل الترجمة، حيث تجعل درجة من التدبّر ممكنة للجميع. من جهة أخرى فقد ذكر مفاتيح وشروطاً خاصّة حيث ترتقي مراتب من التدبّر إلى درجة الاختصاص، والقيام بها يناط على المعصومين عليهم السلام والأولياء ومن ثمّ علماء الدين.

١. انظر: الميزان، ج ١٧، ص ١٩٧.

٢. بازركان، متدولوژی تدبّر در قرآن (منهجية التدبّر في القرآن)، ص ٤٤.

٣. نقي بور، بحث حول التدبّر في القرآن، ص ٣٣.

وفي نهاية هذا الكتاب أيضاً وردت أمثلة على تدبر القرآن. مع التدقيق في بعض الأمثلة مثل التدبر في سورة الحمد يتضح أنّ كاتب هذا الأثر قد اهتم بالجوانب التفسيرية للآيات أكثر.

٣. شرح البعض التدبر على أنّه التفسير الصحيح للظاهر والباطن^١ كما سلطوا الضوء على منهجية التفسير وأهدافه أكثر من غيرهما.

لقد شرح مؤلف الكتاب آيات وكلمات جرى تفسيرها من وجهة نظره بشكل خاطئ في كتب المفسرين. إنّه وإن لم يتناول جميع جوانب الآيات والكلمات، لكنّه جاء بنقاط ودقائق عديدة من سورة الحمد حتى سورة الناس. وطبعاً لا تتطابق مقارنة هذا الكتاب مع نظرة التدبر ومعناها وأسلوبها، وهي تعارض معنى التدبر وأسلوبه تعارضاً كاملاً.

٤. اعتبر البعض التدبر اكتشاف التنسيق في سياق النشاطات التالية:

أ. التصنيف، العلاقة الداخلية للأصناف وكشف موضوع السور وهدفها^٢

ب. التصنيف، العلاقة بين الأصناف، وكشف موضوع السور.

ج. هندسة السور وتصنيفها و كشف موضوع السورة وهدفها^٣.

ت. الهندسة الكلية للسور، حسب ترتيب المصحف (التدبر بين السور)^٤

التعاريف الثلاثة الأولى غير مقبولة؛ لأنّه لم ينظر فيها لمادّة التدبر ولا لهيئته.

و التعريف الرابع وإن خلا من بعض مشاكل التعاريف السابقة؛ لكنّ فيه نقصاً من حيث

١. مجبودي، مجبودي، تدبر در قرآن (التدبر في القرآن)، ص ١٨.

٢. يقوم العلامة الطباطبائي في تفسير كل سورة أولاً بتقسيم آيات السورة إلى أقسام مختلفة ثم يشرح الآيات المرتبطة في ففة ومجموعة، ويعنوان «بيان» يتطرق إلى شرح موضوع هذه المجموعة من الآيات ويوضح ارتباطها مع المجموعة السابقة، كذلك في بداية كل سورة يتم شرح موضوعها.

٣. البستاني، التفسير البنائي.

٤. الحوى، تفسير الأساس.

الشمولية مما يمكن تداركه و إصلاحه وإكماله وتقديم تعريف أشمل للتدبّر كما يلي؛ فالتدبّر عبارة عن: «التفهّم المنهجيّ والمنسق لظاهر القرآن الكريم».

و جدير بنا أن نتناول مفردات هذا التعريف:

١. التفهّم: التفهّم فرع التفهيم؛ مثل التعلّم الذي هو فرع على التعليم. ولأنّ أصل فن التفهيم قد نُسب للقرآن نفسه، لذلك فإنّ القرآن بفصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه يفهّم مقصوده لمخاطبيه؛ فالتفهّم يعني تلقّي هذا التفهيم. لذلك فإنّ الأُنس بالقرآن، والعمل به ونشره وتطبيقه وما إلى ذلك، خارج من هذا التعريف. على أيّ حال فإنّ عدّة أشياء تدرج تحت الفهم:

الأول. فهم نفسيّ ملازم لقراءة القرآن.

الثاني. الفهم المنسق للقرآن في التدبّر.

الثالث. فهم مبادئ القرآن وأُسسه في التبيين.

الرابع. الفهم الدقيق للقرآن في التفقه.

الخامس. فهم مستويات القرآن المعرفيّة في التفكير.

السادس. الفهم الذوقيّ والشهوديّ في إشارات القرآن ولطائفه.

السابع. فهم المصداق في التطبيق.

الثامن. فهم الحقيقة العينيّة الخارجيّة في التأويل.

كلّ قيدٍ من هذه القيود يُخرج مجموعة فرعيّة أو عدّة مجموعات من نطاق شموليّة التعريف، للحصول على مانعيّة التعريف.

٢. المنهجيّ: هو تفهّمٌ منهج ومنظّم لقيامه على أسس الحوار العقلايّي ومبادئه؛ لذلك

فإنّ التفهّم الذوقيّ لا مكان له في هذا التعريف.

يُخرج هذا القيد «الفهم الذوقيّ والشهوديّ» من التعريف؛ لأنّه فهم شخصيّ، ولا يمكن

جعله منهجيّاً. فالفهم الذي ليس منهجيّاً ليست له قابلية التعليم والنشر والتقييم ولن يكون

عاماً؛ لكن قيل إنَّ التدبرَ واجب عامٌّ يحتاج إلى الأسلوب والتعليم؛ لأنَّ أوامر القرآن في هذا الخصوص عامة: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^١، ﴿أَفَلَمْ يَذَبَّرُوا الْقَوْلَ﴾^٢، ﴿يَذَبَّرُوا آيَاتِهِ﴾^٣.

٣. المنسَّق: هذا القيد يُخرج من نطاق التدبر «الفهم النفسي الملازم للقراءة»؛ لأنَّه لا يوجد تنسيق بين آيات القرآن في الفهم النفسي، وكلّ آية يجري فهمها بشكل مستقل؛ ولكنَّ التدبر هو الفهم المنسَّق للقرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^٤؛ لذلك فإنَّ دفع الاختلاف عن القرآن لن يتيسر إلا بالفهم المنسَّق.

٤. الظاهر: «نصّ» و«ظاهر» معاني ألفاظ القرآن الكريم.

هذا القيد يُخرج من نطاق التدبر، كلاً من «فهم مبادئ القرآن وأساسه في التفكير»، «فهم مستويات القرآن المعرفية في التبيين»، «الفهم الدقيق للقرآن في التفقّه»، «فهم المصداق في التطبيق» و«فهم الحقيقة العينية الخارجية في التأويل»؛ لأنَّ الحالات الثلاثة الأولى خارجة عن نطاق الظاهر، والحالات الأخيرة خارجة عن نطاق اللفظ والمعنى، لكنَّ التدبر يتناسب مع ظاهر كلام الله، بسبب ملازمة دفع الاختلاف عن القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

وبالقيد الثلاثة للتعريف تخرج سبع مجموعات فرعية للفهم من جنس التدبر، وبذلك يتضح التعريف الجامع المانع «للتدبر في القرآن»، وطبعاً تخرج أيضاً من نطاق التعريف في ضوء الأدلة المذكورة، أنواع أخرى مماثلة من المجموعات الفرعية للفهم، وليس هناك إشكال حول مانعية هذا التعريف.

٥. النصّ: بسبب اتّساع معنى النصّ أُدرجت هذه الكلمة في التعريف؛ لأنَّه يمكن أن يُطلق

١. سورة النساء، الآية ٨٢.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٦٨.

٣. سورة ص، الآية ٢٩.

٤. سورة النساء، الآية ٨٢.



كلمة «النص» على جزء من السورة، والسورة، والأكثر من السورة (في التدبر بين السور).

الثاني. ضرورة التدبر وأهميته

إنّ التدبر في القرآن باعتباره أحد النشاطات القرآنية، يتمتع بضرورة وأهمية خاصة من منظور القرآن وأهل البيت عليهم السلام وعلماء الدين، سنشير إلى بعض من أهمها:

الف. آيات التدبر

الآية الأولى: ﴿كَبُرَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^١

بناءً على ظاهر هذه الآية، فإنّ التدبر في القرآن مهمّة عامة؛ لأنّ ضمير جمع الغائب في ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ يعود لجميع الناس. ومن جهة أخرى في هذه الآية يُعبّر التدبر في القرآن هدف نزول القرآن. والدليل على ذلك هو تعلق ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ بفعل ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ لأنّ «اللام» في ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ للتعليل، ومعنى هذه الآية هو «أنزلنا هذا الكتاب لكي يتدبروا فيه».

الآية الثانية: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾^٢

بناءً على ظاهر الآية الشريفة، فإنّ عدم التدبر في القرآن هو أحد عوامل الشرك وعدم الإيمان.

الآية الثالثة: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا﴾^٣

ظاهر هذه الآية يفيد بأنّ عدم التدبر في القرآن إلى جانب قفل القلب هو سبب لعدم الإيمان. وبالتوخيخ الذي ورد في عبارة ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ تتجلى أهمية التدبر في القرآن، لأنّ الله و بّخ الناس على ترك التدبر.

ب. روايات التدبر

هناك روايات كثيرة تناولت ضرورة التدبر في القرآن وأهميته، سنشير إلى بعضها:

١. سورة ص، الآية ٢٩.

٢. سورة المؤمنون، الآية ٦٨.

٣. سورة محمد، الآية ٢٤.

الرواية الأولى: بعد أن قدّم الرسول الأكرم ﷺ في خطبة الغدير الإمام عليّاً عليه السلام على أنه مولى للجميع: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» خاطب الناس جميعاً فقال: ﴿مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا فِي الْقُرْآنِ﴾^١ لذلك فإنّ المقصود هو مستوى من فهم القرآن يشمل جميع الناس. ومن جانب فإنّ التدبر في القرآن وُصِفَ بأنه متكافئ وعدلّ لموضوع الولاية، وهذا ما يفيد أهميته.

الرواية الثانية: قال أمير المؤمنين (ع): «ألا لا خيرَ في قراءةٍ ليس فيها تدبُّرٌ»^٢ بحسب هذه الرواية، فإنّ التدبر وصف ملازم للقراءة، و«ألا» تدلّ على أهمية ذلك. يذكر أمير المؤمنين (ع) من خلال «لا» نفي الجنس، أنه إذا فُرِيَ القرآن بلا تدبّر، فلا فائدة منه.

الرواية الثالثة: تقول السيّدّة الزهراء ع في الخطبة الفدكيّة بعد بيان آيات الإرث: ﴿مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^٣

الرواية الرابعة: كان الامام الصادق عليه السلام قبل أن يقرأ القرآن ويفتحه، يدعو بهذا الدعاء وهو يأخذه بيده اليمنى: «بسم الله ... اللهم ... لا تجعل قرائتي قراءةً لا تدبّر فيها؛ بل اجعلني أتدبّر آياته وأحكامه آخذاً بشرائع دينك ...»^٤

ج: التدبر من منظور علماء الدين

يقول الإمام الخميني عليه السلام:

إنّ مهجورية القرآن لها مراتب كثيرة، ومراحل تفوق العدّ والحصر، ولا يبعد أن نكون متّصفين بالعمدة منها. أترى أنّنا إذا جلدنا المصحف الشريف جلدًا نظيفاً وقيماً، أو إذا قبلناه ووضعناه على أعيننا لدى القراءة أو الاستخارة، أفلا نكون هاجرين له؟ أترى إذا أنفقنا غالب عمرنا على تجويده والاهتمام في جهاته اللغويّة والبيانيّة والبديعيّة، أأبعدناه عن زاوية المهجورية؟ هل أنّنا إذا تعلّمنا

١. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩٣.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٦.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٣٢.

٤. مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٣٧٢.



القراءات المختلفة وما شابهها، نكون قد تخلصنا من وصمة عار هجر القرآن؟ أتخلصنا من شكوى رسول الله ﷺ إذا تعلمنا وجوه إعجاز القرآن ومحسناته؟ هيهات! فإنه ليس أي واحدٍ من هذه الشؤون مقصودًا ومنظورًا للقرآن ومنزله العظيم...^١

أقول لابنتي: تدبّري في القرآن الكريم هذا المنبع للفيض الإلهي، وإنه وإن كان لمحض قراءته باعتباره رسالة المحبوب إلى السامع المحبوب، له تأثيرات طيبة محبّبة، لكن التدبر فيه يهدي الإنسان إلى مقامات أعلى وأسمى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^٢ وما لم تُفتح هذه الأقفال والأغلال وتتحطّم، فإنه لن يحصل من التدبر ما هو نتيجة.^٣

يقول سماحة قائد الثورة:

القرآن كتاب نور، كتاب معرفة، كتاب نجاة، كتاب سلامة، كتاب رقيّ وسموّ وتقرب إلى الله. فمتى نكتسب هذه السمات من القرآن أيها الأخوة الأعزّاء؟ أو يكفي أن نضع القرآن في جيوبنا؟ أو يكفي العبور من تحت القرآن عند السفر؟ أقول اليوم: أو هل تكفينا المشاركة في جلسة لتلاوة القرآن فقط؟ أو هل يكفي أن نرتل القرآن أو نستمع إلى ترتيله بصوت حسن وثلثد به؟ كلاً، بل إنه بحاجة إلى شيء آخر، فما هو هذا الشيء؟ إنه التدبر في القرآن.^٤

فليكن كتاب الله حاضرًا بشكل واقعيّ بين الناس، وأن يصبح تعلّمه والتدبر والتعمّق فيه أمراً شائعاً بين الجميع لاسيّما الشباب واليافعين. ففي هذه الحالة، ستكون مسؤوليّة العلماء والمثقفين والكتّاب والخطباء و وسائل الإعلام العامة مهمّة وخطيرة للغاية.^٥

الحقيقة المرّة هي أنّ القرآن لم يصبح بعد في مجتمعنا أمراً عامّاً. الجميع يعشق القرآن ويحترمونه،

١. آداب الصلوة، ص ١٩٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٣٢.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ٤٤٦، رسالة إلى السيّدّة فاطمة الطباطبائيّ.

٤. كلمة سماحة قائد الثورة إلى الحفلة الختامية لمسابقات قراءة القرآن ١٤٠١/١٠/٧٣.

٥. كلمة سماحة قائد الثورة في الذكرى السنويّة الأولى لرحيل الإمام الخميني ﷺ، ١٠/٣/٦٩.



لكنّ فئة قليلة يتلونه بشكل دائم، وفئة أقلّ تتدبّر فيه^١.

هناك اليوم فرصة تاريخية واستثنائية ليُظهر القرآن سلطته وقدرته على هداية أفكار البشر وأعمالهم؛ لكنّ ذلك يتوقف على أن ننال بأنفسنا النبع الفوّار لمعارف القرآن وهدايته، وأن نفهم القرآن، نتدبّر فيه، أن نجعله محوراً للبحث والدراسة ونسير أغواره^٢.

نحن نعتقد أنّه ينبغي لجميع أبناء المجتمع أن يتواصلوا مع القرآن، ويتمكّنوا من قراءة القرآن، ويتمكّنوا من فهم القرآن، ويتمكّنوا من التدبّر في القرآن. الشئ الذي يوصلنا إلى الحقائق النورانية هو التدبّر في القرآن^٣.

إحدى مسؤوليات وواجبات النظام الإسلاميّ والمسلمين فرداً فرداً هي الاهتمام بكتاب الله والافتداء والاهتداء به. يجب على الأمة الإسلامية أن تبذل كلّ ما بوسعها من أجل إلغاء مهجورية القرآن الكريم؛ كي لا تطالهم في يوم القيامة شكوى رسول الإسلام الأكرم ﷺ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^٤ هذا العمل إضافة إلى كونه وظيفةً وواجباً إلهياً فإنّه سبيل لسعادة الأفراد والمجتمعات أيضاً.

تطلّعات لمكانة القرآن الكريم في المجتمع الإسلاميّ

إنّ التطلّعات بشأن مكانة القرآن الكريم في المجتمع الإسلاميّ هي أن يبلغ الناس مبلغاً من فهم القرآن يتمكّنون بفضلها من:

١. أن ينظّموا بصيرتهم على أساس فهمهم للقرآن؛ وأن يعرضوا على القرآن الكريم المشاهدات والأخبار والمسموعات والمقروءات الرئيسة المتعلقة بعصرهم وحياتهم، فيمّنزوا صحتها وسقمها، حتّى يعمّ الجميع الفهم الشامل للرؤية الكونية والأيدولوجيا الدينيتين عن

١. كلمة سماحة قائد الثورة الإسلامية إلى مؤتمر مدرّسي مادة القرآن للعام الأوّل للثانويات ٦٨/٧/٢٠.

٢. كلمة سماحة قائد الثورة الإسلامية إلى مؤتمر مدرّسي مادة القرآن للعام الأوّل للثانويات ٦٨/٧/٢٠.

٣. كلمة سماحة قائد الثورة في محفل الأئمة بالقرآن، ٩٢/٤/١٩.

٤. سورة الفرقان، الآية ٣٠.



طريق القرآن.

٢. أن ينظّموا على أساس فهمهم للقرآن الكريم دوافعهم العمليّة، فيكون من خلال ذلك لديهم عزيمة راسخة صادقة لإنجاز مهامهم بفضل اختيارهم الواعي في كلّ خطوة من الحياة. إنّ أسلوب التدبّر في القرآن يوفّر الأرضيّة لإزالة مهجوريّة كتاب الله عبر تعميم فهم القرآن الكريم وتأمين إمكانيّة نشره، ويعبّد الطريق لتحقيق التطلّعات المرسومة المنشودة للمجتمع القرآنيّ.

للتدبّر خطوتان أساسيتان، هما:

الأول. إعداد الجمهور لفهم القرآن الكريم

اليوم وفي سياق إعداد عامّة الناس بغية فهم القرآن، جرى الاكتفاء بالتوصيات والتشجيع على القراءة أو تعلّم الترجمة والتفسير، بينما التدبّر الذي هو النهج العامّ لفهم القرآن الكريم، مازال أمراً غير مألوف، وبالرغم من التأكيد الكثير للقرآن والمعصومين عليهم السلام؛ إلاّ أنّه ظلّ مطروحاً لدرجة أنّ ماهيّة وطريقة التدبّر ليستا معروفتين بما فيه الكفاية.

يشارك البعض بشوق في مختلف النشاطات القرآنيّة؛ لكنّهم فاشلون في التواصل الصحيح والكامل مع معاني القرآن ومعارفه. فمثّل هؤلاء الأشخاص إمّا يخافون من السقوط في وادي التفسير بالرأي المذموم، أو أنّهم يرون أنفسهم عاجزين عن فهم القرآن الكريم؛ وأسلوب التدبّر في القرآن الكريم، يُزيل هاتين العقبتين الخطيرتين اللتين تحولان دون فهم كتاب الله:

إزالة العقبة الأولى: التدبّر في القرآن من حيث الموضوع خارج عن التفسير بالرأي؛ لأنّ

التدبّر - كما ذكرنا في تعريف التدبّر - ليس تفسيراً.

إزالة العقبة الثانية: مادام الشخص يشعر لدى مواجهة القرآن بالبعُد، أو يرى نفسه أمام مواضيع متداخلة وغيرمنتظمة وأحياناً متضادة في الظاهر، وليس لديه القدرة على إدراك نظم القرآن الكريم وتنسيقه، فإنّه سيظلّ فاشلاً في الأُنس بكلام الله والتواصل معه؛ على الرغم من

إيمانه بكلام الله واعتقاده بنظمه الخاص وبُنيته الخالية من النقص. لنفرض أنّ هناك كتابًا تمّ قصُّه عبارةً عبارةً أو فقرةً فقرةً، ثمّ أُلصقت تلك القصاصات مع بعضها بلا أيّ نظْمٍ وكيفما اتَّفَق؛ فهل سنفهم بقراءتنا لهذا الكتاب معناه ورسالته وغرضه؟! القرآن الكريم ليس له مثل تلك المكانة، لكن إذا لم نَهْتَمَّ في قراءة القرآن بالنظم والتنسيق بين آياته وسوره، فإننا سنرى القرآن كالشئ الذي تحدّثنا عنه، وسنبقى عاجزين فاشلين في التواصل معه.

أجل، إنّ الكلام الصادر عن منبع الفيض يمتلك أعلى المضامين وأفضل نظام، ومشروع التدبر في القرآن الكريم بصدد خلق إمكانيّة فهم هذا النظم الإلهي لعامة الناس.

الثاني. تمهيد المؤسسات المعنوية وإعدادها لنشر معاني القرآن الكريم

تؤدّي المؤسسات الإسلامية، القرآنية، العلمية، الثقافية، والحكومية دوراً حاسماً هاماً في إزالة مهجورية القرآن وتحقيق الأفق المستقبلي للمجتمع القرآني، ولكنها طالما لم تُقَمَّ علاقة صحيحة قويمة بين الجمهور ومعاني القرآن ومعارفه، فإنّها لن تصل في أداء هذه الرسالة، إلى المؤشرات والأهداف المرسومة المنشودة، لأنّ الهدف الأساس لمأسسة العلاقة مع القرآن هو إعداد الأرضية من أجل الاستفادة الفكرية والسلوكية للأشخاص والمجتمعات من القرآن، و لا يتحقّق هذا الأمر الهامّ إلّا في ظلّ تواصل الجمهور مع معاني القرآن ومعارفه. يسعى مشروع التدبر إلى توفير إمكانية تثقيف الفهم الجماعيّ والشامل للقرآن من أجل المؤسسات، من خلال تقديم طريقة التدبر ونموذجه.

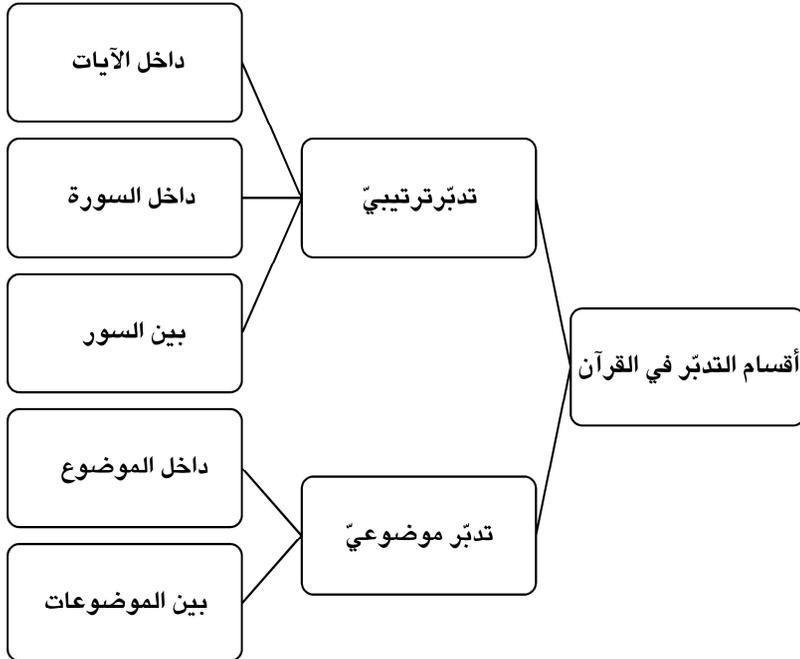
الثالث. تقسيمات التدبر

التدبر من حيث الطريقة على نوعين: ترتيبي وموضوعي، وكلٌّ منهما أيضاً على نوعين من حيث النطاق.

التدبر الترتيبي من حيث النطاق يجري إمّا في داخل آيات سياق قرآني واحد، أو في داخل إحدى سور القرآن أو بين سور القرآن. بعبارة أخرى إنّ التدبر الترتيبي أو فهم التنسيق بين

الآيات في سياق قرآنيّ واحد يُطلق عليه التدبّر «داخل الآيات»، أو يُرصد فهم التنسيق داخل سورة واحدة، مما يُعبّر عنه بالتدبّر «بين الآيات»، أو يُدرّس فهم التنسيق بين سور القرآن ويُسمّى التدبّر «بين السُور».

و التدبّر الموضوعيّ أيضاً، هو التدبّر في الآيات حول موضوع واحد، ويُطلق عليه اسم التدبّر «داخل الموضوع» أو التدبّر بين موضوعين أو أكثر، ويُطلق عليه التدبّر «الموضوعاتيّ»^١.



١ . انظر: إلهي زاده، محمّد حسين، درسنامه‌ي تدبّر موضوعي (رسالة التدبّر الموضوعي).

الرابع. الفرق بين التدبر و بقية الأنشطة القرآنية الأخرى الفرق بين التدبر و الترجمة

تختلف الترجمة عن التدبر من عدة جهات:

١. تدبر القرآن نظرة متصلة للآيات، لكن في الترجمة لا يوجد عادة هذا الاتصال.
٢. تدبر القرآن، هو المستوى الأول لفهم معاني القرآن، و لكن الترجمة هي مختار التفسير و زبدته.

٣. تدبر القرآن يعني تلقّي معنى القرآن، لكن الترجمة هي صياغة معادل للمفردات القرآنية.
٤. التدبر نشاط عامّ، لكنّ الترجمة نشاط متخصصّ.

على الرغم من أنّ الترجمات الرائدة تؤدّي دورها في مكانتها الرفيعة؛ إلا أنّها لم تول اهتماماً كافياً بنظم المواضيع في القرآن. الترجمات الحالية تنقل النصّ القرآنيّ آية آية؛ لذلك عندما نتلو الآيات لا نرى استمراراً واتصالاً، بل تكون منفصلة عن بعضها. وهذا الانفصال والتبعثر يسلبنا نظم البحث؛ وكأنّ كلّ آية نزلت لوحدها، ولا ترتبط بما قبلها وما بعدها؛ لكنّ التدبر يوفّر ترجمة متّصلة لنصّ القرآن الكريم.

الفرق بين التدبر و التفسير

لتوضيح الفرق بين التدبر والتفسير، لا بدّ أولاً من تبين معنى التفسير. يعتبر البعض التفسير ذا معنى واسع، ويسمّون كلّ نوع من الأنشطة المتعلقة بمفاهيم القرآن، تفسيراً؛ سواء كان شرحاً بسيطاً على مستوى شرح كلمة واحدة، أو كان موضوعاً قرآنيّاً عميقاً ودقيقاً على مستوى إشارات القرآن وحتى لطائف القرآن وحقائقه. وفي هذه الرؤية فإنّ «التدبر» أيضاً سيمثّل التفسير بطريقة ما.

التفسير لغةً هو كشف معنى اللفظ وإظهاره^١، أو هو الشرح المصحوب بالتوضيح^١،

١. مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٣٨.

واصطلاحاً له عدّة تعاريف مختلفة أيضاً: قام البعض بتحديد دائرة التفسير وتخصيصها، والبعض وسّع نطاقها المفهوميّ بشكل كبير، سنشير فيما يلي إلى بعض تلك التعاريف:

١. «إنّ التفسير هو كشف القناع»^١. هذا أشهر تعريفٍ.
 ٢. «التفسير علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد ﷺ وبيان معانيه و استخراج أحكامه وحكمه»^٢.
 ٣. «علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، و أحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمّل عليها حال التركيب وتتمت ذلك»^٣.
 ٤. «التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»^٤.
 ٥. «التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها»^٥.
- يلاحظ أنّ نطاق التفسير مختلف في كلّ واحد من هذه التعاريف، فقد اعتبر البعض التفسير بمثابة شرح الألفاظ وتفسير المعاني؛ مثل التعريف الثاني والثالث والخامس؛ بينما اعتبر البعض الآخر أنّ التفسير هو شرح ما ليس في نطاق الظاهر؛ مثل التعريف الأول والرابع.

عدم صلاحية تعريف المصطلحات القديمة للفهم الجديد

وفي ضوء التعاريف المطروحة آنفاً، يتبادر هذا السؤال: أيّ من هذه التعاريف صحيح؟
 يمكن بوضع المصطلح أن يُعرّف كلّ واحدٍ منّا كلمة التفسير بحسب عقليّته؟
 الحقيقة هي أنّ التفسير ليست كلمة عصريّة، بل كانت منتشرة بين الناس منذ قرون، وهي

١. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٩، ص ٨.

٢. البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٧.

٣. بدرالدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣.

٤. أبوحيان، تفسير البحر المحيط، ج ١، ص ١٢١.

٥. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٥، المبحث الأول: معنى التفسير.

٦. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤.

من مصطلحات مرحلة صدر الإسلام. لذلك فإنّ وضع تعريفٍ جديدٍ ليس صحيحاً، وسيثير الشبهات أكثر فأكثر. لذلك لا يمكن تعريف المصطلحات القديمة بالفهم الجديد. تمّ نقل توضيحات مختلفة في الأحاديث حول التفسير، ومن الضروريّ أن نبحت عن نطاق هذه الكلمة في ذلك الوقت نفسه، وليس في هذا الوقت. لا يخفى أنّ الشحنة الدلالية للكلمات تتغيّر في الأوقات المختلفة؛ لذلك سنبحت عن نطاق هذه الكلمة ومفهومها في الأحاديث:

إحدى الروايات الواضحة الصريحة في هذا المجال كلام رسول الله ﷺ البليغ في خطبة الغدير؛ حيث قال: ﴿مَعَاشِرَ النَّاسِ! تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، وَافْهَمُوا آيَاتِهِ وَتَحَكَّمَاتِهِ، وَ لَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَ اللَّهُ هُوَ مُبَيِّنٌ لَكُمْ نُوراً وَاحِداً وَ لَا يُوضِّحُ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ﴾^١ في هذه الرواية أُسْتُخِدمَ التفسير في مقابل التدبر وفهم الآيات، كما نُسبَ التدبر والفهم لعامة الناس. لقد أمر الرسول ﷺ جميع الناس بالتدبر وفهم آيات القرآن، لكنّه أوكل التفسير للإمام عليّ عليه السلام. ﴿إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ﴾

في حديث آخر مشهور، يقول الإمام الباقر عليه السلام: ﴿يَا جَابِرُ إِنَّ الْقُرْآنَ بَطْنًا وَ لِلْبَطْنِ بَطْنًا وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ لِلظَّهْرِ ظَهْرٌ يَا جَابِرُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوْلَهَا فِي شَيْءٍ وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَ هُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُنْصَرَفٌ عَلَيَّ وَجُوهٌ﴾^٢.

يتضح من هذه الرواية أيضاً أنّ تفسير القرآن خاصّ لدى الإمام وهو بعيد عن عقول الناس؛ وكانّ سلسلة فهم التفسير ليست من نوع الظواهر لتحيط بها عقول الناس.

في حديث قتاده وأبي حنيفة أيضاً جاءت خصوصية علم التفسير واضحةً: ﴿عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ: دَخَلَ قَتَادَةُ بَنُ دِعَامَةَ عَلِيٍّ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ يَا قَتَادَةُ أَنْتَ فقيه أَهْلِ

١. الشيخ الحرّ العاملي، محمّدين حسن، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩٣.

٢. المحاسن، ج ٢، ص ٣٠٠.



الْبَصْرَةَ؟ فَقَالَ هَكَذَا يَزْعُمُونَ؛ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام بَلَغَنِي أَنَّكَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ نَعَمْ (إِلَى أَنْ) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَيُحْكُ يَا قَتَادَةُ إِنْ كُنْتُ إِذَا فَسَّرْتُ الْقُرْآنَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَ أَهْلَكْتَ وَ إِنْ كُنْتُ قَدْ فَسَّرْتُهُ مِنَ الرِّجَالِ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ وَيُحْكُ يَا قَتَادَةُ إِذَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ حُوطِبَ بِهِ^١.

يتضح من خلال هذه الأحاديث أنّ الشئ الذي كانوا يعتبرونه في الماضي «تفسيراً»، يختلف عن تفسير اليوم بين العوامّ والخواصّ. فالتفسير من منظور المعصومين عليهم السلام نوع خاصّ من فهم القرآن الكريم، ومقصود عليهم دون غيرهم وخاصّ بهم. مصطلح التفسير من منظور الأحاديث يشمل المفاهيم العميقة للقرآن الكريم.

كتب آية الله الخوئي رحمته الله بعد أن أورد الروايات:

«إن المراد من هذه الروايات وأمثالها أنّ فهم القرآن حقّ فهمه، ومعرفة ظاهره وباطنه، وناسخه و منسوخه مختصّ بمن حُوطِبَ به»^٢.

هذا وقد مرّ آنفاً أنّ نطاق التدبر ظاهر ألفاظ القرآن الكريم فقط. لذلك فالتفسير يختلف عن التدبر من عدّة جهات:

١. مخاطب التدبر في القرآن، عامّة الناس، ولكنّ مخاطب التفسير، فئة خاصّة.
٢. في التدبر، يتمّ الاستفادة فقط من آيات القرآن "تدبر القرآن بالقرآن"، ولكن في التفسير يتمّ الاستفادة من آيات القرآن، والروايات العقل وبقية المصادر الأخرى.
٣. تدبر القرآن هو أوّل مستوى لفهم معاني القرآن الكريم؛ ولكن التفسير هو التأمل والتعمّق في مستويات القرآن العميقة. بعبارة أخرى؛ التدبر هو السباحة في سطح القرآن، لكنّ التفسير هو الغوص في أعماق القرآن.

١. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٥.

٢. البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٦.

٤. تدبر القرآن هو تلقّي المعنى الأوّليّ للقرآن، لكنّ التفسير هو التعامل مع آيات القرآن بواسطة المبادئ والأسس الاجتهادية والاستنتاج من القرآن.
٥. التدبر يتناول الفهم المجموعيّ، بينما التفسير يشير إلى الفهم الجزئيّ أيضاً، إضافة إلى الفهم المجموعيّ والكلّيّ.
٦. في التدبر، كتاب الله هو المعلّم، والإنسان مستمع. ولكن في التفسير للمفسّر مداخلات فعّالة.
٧. منزلة التدبر قبل التفسير.

يقول سماحة القائد المعظم حول هذا الأمر:

إنّ التدبر من الأساس ليس من أجل التفسير؛ بل من أجل فهم المراد. فلإنسان أن يتلقّى أيّ كلام حكيم على نوعين: الأول باعتبار وإهمال؛ والآخر بعناية وروح الاستطلاع...، قصدي أنّ التدبر لا يقترب أبداً من عالم «التفسير بالرأي»^١.

الفرق بين التدبر، والتفسير بالرأي

و حول هذا الأمر يقول سماحة الإمام:

أحد الحجب الأخرى التي تمنع الانتفاع بهذه الصحيفة النورانية هو الإيمان بأنه لا يحقّ لأحد في الاستفادة من القرآن الكريم في غير الذي كتبه المفسرون أو فهموه، وقد خلطوا التفكير والتدبر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي الذي يعتبر ممنوعاً، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جردوا القرآن الشريف عن جميع فنون الانتفاع، وجعلوه مهجوراً بشكل كليّ؛ بينما الإفادات الأخلاقية و الإيمانية والعرفانية لا تتعلّق بالتفسير بأيّ شكلٍ من الأشكال، لتكون تفسيراً بالرأي^٢.

وبالتالي فإنّ منزلة التدبر قبل التفسير وبعد الترجمة؛ لذلك وقبل الولوج في مضمار التدبر من

١. حديث سماحة قائد الثورة الإسلامية بمناسبة ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام ٧٧/٧/١٨.

٢. (الإمام) الحميني، روح الله، آداب الصلوة، ص ١٩٨.

الضروريّ تعلّم القراءة، طلاقة القراءة، التحويد والمعنى والمفاهيم والترجمة.

الفرق بين التدبر و التطبيق

التطبيق في مصطلح علوم القرآن، هو تطبيق المفهوم الكلّيّ مع المصداق الجزئيّ. وفي التطبيق يجب أن يكون المفهوم كلياً دوماً، والمصداق جزئياً؛ إذا كانت الآية التي نريد تطبيق مفهومها على المصداق الجزئيّ كليّةً، فإنّ بالإمكان مباشرة التطبيق، وبالتالي يمكن تطبيق المفهوم الكلّيّ المستخلص من الآية على المصداق الجزئيّ بحسب القواعد؛ ولكن إذا كانت الآية جزئيّة فيجب أولاً «الجرى» وكشف المفهوم الكلّيّ للآية ثمّ تطبيقها.

كذلك يختلف التطبيق عن التدبر:

١. التدبر مقدّم على التطبيق.
٢. التدبر يتعلّق بالمعنى، لكنّ التطبيق يتعلّق بالمصداق.
٣. التدبر لا يخرج عن مستوى ظاهر الآيات، لكن التطبيق يذهب أبعد من آيات القرآن والمفهوم القرآنيّ تجري مطابقتها على المصداق الخارجيّة.
٤. التدبر بسيط وعمام، لكنّ التطبيق نشاطٌ متخصصّ.
٥. في التدبر يجري اتّباع نظرة كليّة نحو الآيات، لكن في التطبيق يجري اتّباع استخلاص المفهوم الكلّيّ لكلّ آية ومطابقتها مع المصداق الجزئيّة.

الفرق بين التدبر، والتأويل

التأويل من مادة «أول» و في اللغة بمعنى بداية الشئ أو الرجوع^١؛ مصطلح التأويل هو تطبيق أو مطابقة العلم و العين (الوقوع في الخارج)، أي الشئ الذي أدّى إليه العلم و له رجوع. علي سبيل المثال يعتبر القرآن نفسه شفاءً لقلوب الناس: ﴿شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^٢ هذا علمٌ،

١. مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣١١؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٣٢.

٢. سورة يونس، الآية ٥٧.

لكن إذا عانى شخص مرضاً في قلبه، ولجأ إلى القرآن لينال الشفاء، فهذا هو تأويل الآية الذي يعني مطابقة العلم لحدثٍ خارجيٍّ (شفاء المريض). إذاً ليس التأويل بمعنى مصداق الآية بل هو تحقُّقٌ، وتحقُّق الأخبار والإنشاءات القرآنيّة وتأويلها يظهران بعد العمل بالقرآن.

الفرق بين التأويل و التدبر في عدة أشياء:

١. مرتبة التدبر مقدّمة على التأويل بعدّة مراتب.
٢. في التدبر نتناول فقط ظاهر آيات القرآن، لكن في التأويل لا نتخطّى الظاهر فحسب؛ بل هناك حاجة لدراسة القضايا الخارجيّة أيضاً.
٣. التدبر نشاط عامّ وشامل، لكن الحصول على تأويل الآيات غالباً ما يكون متخصصاً ومعقّداً.
٤. التدبر هو الفهم المجموعيّ للآيات، لكن في التأويل لكلّ آيةٍ تأويل، كما أن دراسة تأويلها يمكن أن تكون مستقلّةً.
٥. التدبر تفهّم الآيات الإلهيّة، لكنّ التأويل هو تحقُّق الآيات الإلهيّة.

الخامس. آثار التدبر

من جهةٍ يمثّل التدبر في القرآن تكملاً للأنشطة القرآنيّة العامّة الأخرى، مثل: القراءة، طلاقة القراءة، التجويد، الترتيل، القراءة، الصوت واللحن، الترجمة والمفاهيم والحفظ، وهو مثل السقف الذي يجعلها هادفةً ومؤثّرةً، وإنّه من جهةٍ أخرى مقدّمة لخوض مجال تفسير القرآن الكريم؛ لأنّه من أجل الدخول في تفسير آيات القرآن - بالطبع بعد تأمين بقية الضروريات والمستلزمات - يجب قبل كلّ شيءٍ وأكثر من أيّ شيءٍ، الأُنس بظاهر ألفاظ الآي معناها ومفهومها، والأهمّ من ذلك هو النظر إلى الآية بجانب الآيات المتحدّة معها في السياق؛ هذان الأمران الهامّان - كما قيل - يمكن الفوز بهما في عمليّة التدبر في القرآن.

للتدبر في القرآن تأثيرات و ثمرات عديدة ومختلفة، وأهمّ تلك التأثيرات هي:

أ. ممهّد الطريق لتذكّر أولي الألباب:



﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^١

تقدم ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ على ﴿ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ شاهد على هذا التأثير.

ب. سبيل لاكتشاف تنسيق الآيات، وحلّ التعارضات القرآنية:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^٢.

يصرّح الله تعالى في هذه الآية أنّه يُحتمل التناقض في القرآن فقط، حيث لم يكن صادراً من مصدر إلهي. في هذه الآية يخبرنا أنّ السبيل الذي يستطيع الإنسان من خلاله الوقوف على انعدام الاختلاف في القرآن هو «التدبر في القرآن».

ج. التدبر في القرآن ينفي الشك في فضل أهل البيت عليهم السلام:

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «يَا مُفَضَّلُ لَوْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ شِيعَتُنَا لَمَا شَكُّوا فِي فَضْلِنَا»^٣ إذا بالتدبر في

القرآن يتحقّق الاهتداء إلى الصراط المستقيم الذي هو ولاية أهل البيت عليهم السلام.

د. التدبر في القرآن مقدّمة للاعتبار والتعلّم:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تَدَبَّرُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ وَاعْتَبِرُوا بِهِ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ الْعِبَرِ»^٤

في هذه الرواية تقدّم التدبر على الاعتبار، وعُطِفَ الاعتبار عليه، لذلك فالتدبر هو مقدّمة للاعتبار بآيات القرآن.

هـ. التدبر في القرآن طريق إلى الخير والصلاح:

قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ فَقَدْ دَلَّكُمْ عَلَيَّ الْأَمْرِ الرَّشِيدِ»^٥

و: التدبر وفتح أبواب من المعرفة

١. سورة ص، الآية ٢٩:.

٢. سورة النساء، الآية ٨٢.

٣. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٢٦.

٤. الأمدى، غررالحكم ودررالكلم، ص ٣١٨.

٥. الديلمي، إرشاد القلوب إلى الصواب، ج ١، ص ٨٠.

كل آية قرآنية تقرؤها لتكن قراءتها بتأمل وتمعن، واسعوا إلى فهمها. هذا هو التدبر، ودون أدنى حاجة إلى أن يفرض الإنسان انطباعاته على القرآن- الذي هو التفسير بالرأي- سيرى أن التدبر يفتح عليه بحسب مضمون الآية- مهما يكن مضمون الآية- أبواباً من المعرفة.^١

ز: التدبر وعدم تأثير الشبهات

إذا استأنس الشاب المسلم بالقرآن، وأعطى نفسه فرصة التدبر في القرآن، فإنّ العديد من شبهات الأعداء ستكون عقيمة عديمة التأثير. بالطبع يجب أن تساعد على ذلك جميع الجهات الثقافية للبلاد. يجب تصنيف المفاهيم القرآنية على يد الخبراء في هذا المجال وإدراجها بشكل متناسب وفي مكانها اللائق في الكتب الدراسية-سواء في المدرسة أو في الجامعة.^٢

ح: التدبر، مفتاح لفهم لطائف القرآن

ما أكثر اللطائف القرآنية التي لا يمكن فهمها إلا بالتدبر. لذلك فإنّ حفظ معاني القرآن وفهمها وتلاوة القرآن أمر ضروري.^٣

ط: أثر التلاوة بلا تدبر، يشبه اللاشئ

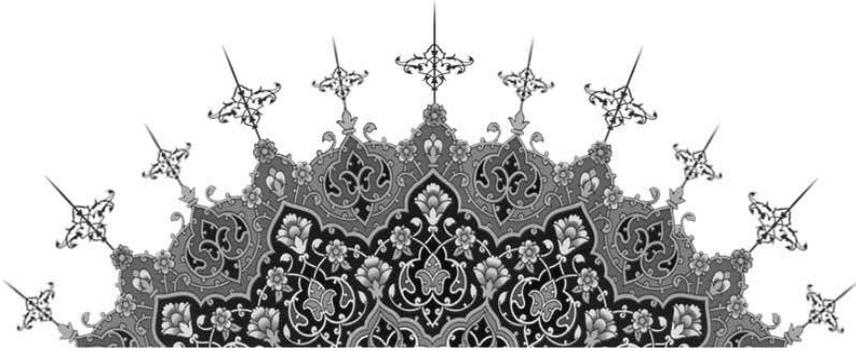
افتحوا القرآن، واجلسوا، واقروا بحضور القلب عشر آيات، عشرين آية، خمسين آية، مائة آية، من أجل التدبر والفهم والانتفاع. هناك نوع من قراءة القرآن، وهو أن يأخذ الإنسان ظاهر القرآن فيقرأه حتى النهاية، لا يريد أن يقول إنه لا تأثير له. بالمناسبة كنت أقول في السابق أنه ليس له أي أثر، لكنني أعدت النظر ثانية. لا يمكن القول بأنه ليس له أي أثر، لكن أثره تجاه الأثر المتوقع من تلاوة القرآن يشبه اللاشئ، أو قريب من اللاشئ.^٤

١. حديث سماحة قائد الثورة في ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (ع) ١٨/٠٧/٧٧.

٢. كلام سماحة قائد الثورة في لقاء مجموعة من حافظي وقارئ القرآن الصغار والناشئين في البلاد ٢٨/٠٦/٨٠.

٣. كلام سماحة قائد الثورة في لقاء القراء المشاركين في الدورة الثالثة والعشرين لمسابقات القرآن الدولية ٤/٧/٨٥.

٤. كلام سماحة قائد الثورة الإسلامية في لقاء قراء القرآن ٢٢/٦/١٣٨٦.



مباني التدبّر في القرآن

الأول. جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ

إنَّ لجمع القرآن أهميةً كبرى في إثبات الترتيب الإلهي لنظم القرآن الكريم. جرت متابعة هذا الموضوع في العلوم القرآنية تحت عنوان «جمع القرآن الكريم». يرتبط إثبات جمع القرآن الكريم في زمن رسول الله ﷺ بتوقيفية ترتيب آيات هذا الكتاب الإلهي وسوره. يعتقد أهل السنة أنَّ الخليفة الأول قام بجمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يكن للرسول دور في ذلك. إنَّ عدم صحة هذا الاعتقاد سيظهر بالدليل القرآني والروائي والعقلي.

أ. الأدلة القرآنية

١. استخدام كلمة كتاب

وردت كلمة «كتاب» في آيات من القرآن:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^١

﴿ كِتَابٌ فُضِّلَتْ آيَاتُهُ فَزَّاءٌ نَاعَرَ بَيْنَهُمْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^٢

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^٣

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾^٤

١. سورة البقرة، الآية ٢.

٢. سورة فصلت، الآية ٣.

٣. سورة ص، الآية ٢٩.

٤. سورة لقمان، الآية ٢.



إنّ بناء مواضيع كتابٍ ما وترتيبه مهمّ بالنسبة للكاتب مثل مضمون ذلك الكتاب. إنّ قسماً كبيراً من إنتاج العلم وتطوّره على مرّ التاريخ، مرتبط بترتيب بنائه وهيكله. في هذه الآيات يبيّن الله تعالى بصراحة أنّ هذا الكتاب إلهيّ مرسل من عنده؛ لذلك فإنّ الشارع المقدّس والرسول ﷺ يجب أن يهتمّوا أكثر من غيرهم، ببناء كتابهم السماويّ وترتيبه؛ لذلك فالترتيب الحاليّ للقرآن ترتيب توقيفيّ، إلّا إذا ثبت غير ذلك بالدليل والبرهان، ومثل ذلك الدليل غير موجود.

لقد استدللّ البعض بأنّه أحياناً تُطلق أيضاً كلمة الكتاب على الكتابة القصيرة كرسالة، فالجواب أنّه على فرض صحّة ذلك، فإنّ في تلك الكتابة القصيرة تأليف أيضاً، وإطلاق اسم الكتاب على الرسالة أيضاً مع تأليف عباراتها ومواضيعها، وليس مجرد بضع كلماتٍ أو جمليّ كُتِبَتْ بلا نظم وترتيب؛ خاصّة أنّ كلمة الكتاب تُطلق على جميع القرآن الكريم، وهذا يستلزم وجود نظم وترتيب وتأليف في جميع موارد.

٢. الجمع الإلهيّ للقرآن

بناءً على الآية الشريفة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^١ فقد تولّى الله تعالى جمع القرآن. هنا يتبادر هذا السؤال: كيف اعتبر فئة من الصحابة والتابعين، استناداً إلى بعض الروايات المخالفة للقرآن، جمع القرآن من إنجازات الخليفة الأول؛ بينما المعيار لصحّة رواية ما عرضها على القرآن؟!

٣. مناقشة المشركين حول الكتاب

كان القرآن دائماً أهمّ موضوع للصراع والنقاش بين الرسول ﷺ ومشركي مكّة. فكان لديهم علم كامل بالآيات الإلهية، وكانوا على بينة من دعوتها وموضوعها، لكنهم كانوا يعارضون الإسلام. كما كانت آيات القرآن في متناول أيديهم من أجل الاطلاع على دعوة

١. سورة القيامة، الآية ١٧.

الرسول ﷺ والمؤمنين أيضاً. واضح أنّ الرسول ﷺ قد تولى بأمرٍ وطلبٍ من الله، ترتيب آيات القرآن ونظم تسلسلها، لا أن يقوم كلّ شخصٍ حسب رغبته وأهوائه بترتيب الآيات إلى جانب بعضها ويستخدمها، لذلك يجب القبول أنّها كانت كتابات مرتّبة ومنظمة لدرجة أنّ المشركين كانوا يقولون إنّ محمداً (النبي ﷺ) قد اكتتب القرآن عن أساطير الأولين: ﴿ وَقَالُوا أَأُطِيعُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تَمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾^١.

٤. استعمال القرآن والكتاب إلى جانب بعضهما

في الآيات المكية هناك حالات متعدّدة جاء فيها القرآن والكتاب مع بعضهما؛ فمثلاً قوله: ﴿ الرّتلك آيات الكتابِ وقُرآنٍ مبينٍ ﴾^٢ أو قوله: ﴿ طس تلك آيات القرآنِ وكتابٍ مبينٍ ﴾^٣ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين، إذا كتابة مقروءة وهي وحدها أكبر دليل على الرسول والرسالة. كذلك يقول: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَطْهَرُونَ ﴾^٤

٥. استخدام كلمة "الصحيفة" و"الصحف"

كلمة "الصحيفة" تدلّ على الكتابة، وجمعها "الصحف". كما يطلق على سور القرآن أحياناً «صحف»، حيث يقول في سورة عبس: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾^٥ أو في سورة البينة: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾^٦ هاتان السورتان نزلتا في الأعوام الأولى للبعثة، ويتضح أنّ رسول الله ﷺ كان في تلك الأيام، يكتب كلّ واحدة من سور القرآن الكريم في صحيفة واحدة. فإطلاق كلمة «صحف» على السور يدلّ على كتابتها وجمعها في عهد الرسول ﷺ.

١. سورة الفرقان، الآية ٥.

٢. سورة الحجر، الآية ١.

٣. سورة النمل، الآية ١.

٤. سورة الواقعة، الآية ٧٧ - ٧٩.

٥. سورة عبس، الآية ١٣.

٦. سورة البينة، الآية ٢.



٦. آيات التحدي

إنَّ تحديَّ الرسول الأكرم ﷺ للكفار في سورة هود بالإتيان بعشر سورٍ مثل القرآن^١ شاهد على تدوين القرآن وتنظيمه في ذلك الزمن، ويبيِّن أنَّ القرآن كان بأيدي المشركين ليكون التحديَّ صحيحاً. والجدير بالذكر أنَّ هذه السورة كانت قد أنزلت حوالي العام التاسع للبعثة في مكة وقبل أربع سنوات من الهجرة؛ كذلك كانت ٣٤٠٠ آية قد نزلت حتى ذلك الوقت، وجميع تلك الآيات معاً كانت في متناول المشركين؛ من جهة كان يجب أن يعلموا إلى أيِّ شيء دُعوا للتحدي؛ لذلك لو لم تكن مجموعة منظمّة لكانت دعوة الرسول تبدو عبثيّة.

بهذه الطريقة يمكن القول بالتأكيد إنَّ القرآن كان قد جُمع على الأقلّ منذ العام الثامن والتاسع للبعثة وقبل الهجرة، كما كانت السور وعددها محدّدة كاملاً أيضاً، إذ إنَّ الله تحدّى المشركين في سورة "هود" أن يأتوا بعشر سورٍ مثل القرآن.

ب. الأدلة الروائيّة

١. تعيين موضع الآيات

كان الرسول الأكرم ﷺ فيما يخصّ بعض الآيات يأمر كتّاب الوحي بإدراج الآيات بشكلٍ محدد في السورة و في أيِّ موضع يضعونها. يقول ابن عباس:

كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا).^٣

١. سورة هود، الآية ١٣: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾

٢. بازركان، مهدي، سير تحوّل قرآن، ص ١٤٣.

٣. أحمدبن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٣.

كذلك يقول عثمان بن أبي العاص:

كنت عند رسول الله ﷺ جالساً، إذ شخص ببصره ثم صوّبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثمّ شخص ببصره فقال: "أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى) فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد^١.

وحول الآية الشريفة: ﴿وَأَتَوَابِعُهَا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^٢ وهي الآية الأخيرة التي نزلت على الرسول ﷺ، يقال بأنّه ﷺ أشار أن توضع بين آيّي الرّيا والدين من سورة البقرة^٣. والذي يتّضح من هذه الأحاديث جلياً هو أنّ ترتيب آيات القرآن الكريم كان تحت إشراف دقيق من رسول الله، الأمر الذي تمّ كتابته والقيام به بناءً على الوحي الإلهي. كما أنّ الروايات المأثورة عن رسول الله ﷺ حول ثواب قراءة سور القرآن تشكّل دليلاً آخر على هذا الكلام. ولما أنّ هذه الروايات تدلّ على إكمال السور، فإنّها تؤيد توقيفية السور أيضاً.

يقول رسول الله ﷺ: « من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار، فقبضه الله في تلك الليلة أو ذلك اليوم غفرت ذنوبه.»^٤

يدلّ هذا الحديث وأمثاله، على أنّ البناء الكلّي للسور كان قد اكتمل عند النزول.

يقول جلال الدين السيوطي أيضاً حول ذلك:

وَمِنْ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَالًا مَا تَبَيَّنَ مِنْ قِرَاءَتِهِ لِسُورِ عَدِيدَةٍ كَسُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ فِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ وَالْأَعْرَافِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي الْمَغْرِبِ، وَقَدْ

١. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٣، ص ٥٧٩.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٨١.

٣. مجمع البيان، ج ٢، ص ٦٧٦.

٤. بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٣٠٩.



أَفْلَحَ، رَوَى النَّسَائِيُّ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي الصُّبْحِ وَ...^١.

هذه النصوص تدلّ بوضوح على أنّ السُّور كانت مجموعة ومرتبّة من قبل (كانت بدايتها ونهايتها واضحة)، من جهة أيضاً كانت في متناول المسلمين، وكان الرسول ﷺ يشجّعهم على قراءة سُور مختلفة في صلاة الصبح والعشاء وعند النوم.

٢. أخذ المصحف من رسول الله ﷺ

قيل إنّ القرآن الكريم قد وصف السُّور بالمصحف: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾^٢ الأمر الذي صرح به المفسّرون. كما كان أصحاب الرسول ﷺ أيضاً يستخدمون كلمة «المصحف»، وكانوا قد أخذوا هذا الاسم للقرآن عن آيات كريمة استخدمت فيه كلمة «صُحُف» وكانت تُطلق على جميع القرآن. وبقي هذا المصطلح بين المسلمين. كما استخدمت كلمة «المصحف» في روايات كثيرة: «و عن أبي محرز عن عثمان بن أبي العاص وفد إلى رسول الله ﷺ مع ناس من ثقيف، فدخلوا على النبي ﷺ قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فسألتُه مصحفاً كان عنده فأعطانيه واستعملني عليهم، وجعلني إمامهم وأنا أصغرهم»^٣.

هذا الحديث يُثبت وجود مصحف مكتوب لدى رسول الله ﷺ ولا يترك أدنى شكّ حول كتابة القرآن وجمعه في زمن رسول الله ﷺ.

٣. النظر إلى المصحف

الرواية الأولى. «قال رسول الله ﷺ: ... وَ النَّظَرُ إِلَى الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ»^٤.

ما الذي يُفهم من هذا الكلام؟ «النظر إلى المصحف» غير النظر إلى مجموعة؟ لو كان غير

١. الإتقان في علوم القرآن، قم، بيدار للنشر، ج ١، ص ٢١١.

٢. سورة البينة، الآية ٢.

٣. المعجم الكبير، ج ٩٨.

٤. بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٠٤، باب ٤: مذاكرة العلم، ومجالسة العلماء.

هذا، لاستخدام الرسول ﷺ تعبيراً آخر. إذا استعمال كلمة «مصحف» ينم عن معنى خاص.
الرواية الثانية. «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي الْمُصْحَفِ كُتِبَ لَهُ أَلْفًا حَسَنَةً،
 وَمَنْ قَرَأَهُ فِي غَيْرِ الْمُصْحَفِ أَطْنَهُ قَالَ: فَأَلْفُ حَسَنَةٍ»^١.

الرواية الثالثة. «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: سبعة يجري للعبد أجرهم من بعد موته
 و هو في قبره: من علّم علماً، أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو
 ورت مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»^٢.

الرواية الرابعة. «عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَجِيئُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ
 إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُصْحَفَ وَالْمَسْجِدَ وَالْعِتْرَةَ، يَقُولُ الْمُصْحَفُ: يَا رَبِّ! حَرَّفُونِي وَ مَرَّفُونِي،
 وَيَقُولُ الْمَسْجِدُ: يَا رَبِّ! عَطَّلُونِي وَضَيَّعُونِي، وَتَقُولُ الْعِتْرَةُ: يَا رَبِّ! قَتَلُونَا وَطَرَدُونَا وَشَرَّدُونَا»^٣.

تتضح في هذه الروايات كلمة «مصحف» و دلالتها على كتابة القرآن و جمعه في زمن
 رسول الله ﷺ.

٤. السَّفَرُ مَعَ الْمُصْحَفِ

كان الرسول ﷺ وأصحابه يسافرون إلى أرض الأعداء، وكان ﷺ ينهى عن اصطحاب
 المصحف في مثل تلك الأسفار.^٤ وكان السبب وراء ذلك النهي كيلا يظفر الأعداء بالقرآن؛
 لأنهم كانوا على علم بالقرآن ويعرفونه، فلو لم تكن الآيات مدونة ومجموعة ومكتوبة في ذلك
 الزمن، ولو لم يكن استنساخه وحيازته منتشرين بين الناس، لكان ذلك النهي عبثيًا بلا فائدة.
 قبل ارتحال رسول الله ﷺ بعدة أشهر، أرسل ﷺ عمرو بن حزم إلى اليمن، ليعلم أهل

١. شعب الإيمان ج ٣، ص ٥٠٧.

٢. نصح الفصاحة، ص ٥٢٠.

٣. الخصال، ج ١، ص ١٧٥.

٤. المعجم المفهرس، ج ٢، ص ٤٦٧، س ٦٠، مفتاح كنوز، ج ١، ص ٣٩٧؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩.



اليمن القرآن والسنة ومعالم الإسلام. كانت تلك المهمة مرفقة برسالة مفصلة، ذكر فيها رسول الله ﷺ وصفة كاملة؛ حيث يقول في قسم من الرسالة: ﴿ فلا يمسن القرآن إنسان آلا و هو طاهر ﴾^١. إذاً هذا الحديث لا يشير على الأقل إلى شئ غير إعادة اسم نص كتاب الله، ومن الواضح أن مجموعة الوحي الإلهي باسم القرآن تم النهي عن مسها إلا على طهارة، وهذا بدوره يدل على وجود مجموعة مكتوبة ومنتشرة في ذلك الزمن.

يقول أبو أمامة: قال الرسول في حجة الوداع: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ. فقال أعرابي: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ مِنَّا وَبَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَصَاحِفُ، وَقَدْ تَعَلَّمْنَا مَا فِيهَا وَعَلَّمْنَاهَا نِسَاءَنَا وَذُرَارِيَنَا وَخَدَمَنَا؟ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَكَتْ وَجْهَهُ حُمْرَةً مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: إِي تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ، وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمَصَاحِفُ لَمْ يُصْبِحُوا يَتَعَلَّقُوا بِأَحْرَفٍ مِمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ.^٢

بغض النظر عن ذلك، لدينا أحاديث عديدة تشير إلى تعيين موضع الآيات والسور. كان الرسول الأكرم ﷺ يحدّد بنفسه موضع الآيات والسور، ويشرف على ذلك بنفسه؛ وقد بلغت الدقة في التحديد تناهيها وأقصاها أحياناً حيث تشير الدهشة.

يقول عمر: ما راجعت رسول الله في شئ مراجعتي إيّاه في الكلاله، وما أغلظ لي رسول الله ﷺ في شئ ما أغلظ لي فيها حتى طعن في نحري، وقال: " يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء " .^٣

كذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ وَإِنَّمَا كَانَ يُعْرِفُ انْقِصَاءُ السُّورَةِ بِنُزُولِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ائْتِدَاءً لِلْآخِرَى ﴾^٤.

١. تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٤.

٢. الطبراني، المعجم الكبير، ج ٨، ص ٢١٥؛ مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٦٦.

٣. جامع العلوم والحكم، ج ١، ص ٩١.

٤. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ج ٤، ص ١٦٦؛ بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٨٢، ص ٢٠.

٥. عبارة «ما بين الدفتين»، ودلالاتها على أنّ القرآن مكتوب

نقل البخاريّ (م ٢٥٦ هـ) في جامعه الصحيح حديثاً صحيحاً عن عبدالعزيز بن رفيع، قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل: أتَرَكَ النبيّ ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا «ما بين الدفتين»، قال: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: " مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ " .^١ وقد سمعا نفس هذا الجواب من محمد بن الحنفية. ومن الواضح أنّ القرآن لم يُجمَع القرآن ولم يُكْتَب في زمن الرسول ﷺ فحسب، بل كان كتاباً منظماً ضمن مجلّد.

٦. فاتحة الكتاب

سُمِّيَتْ سورة الحمد في كلام الرسول ﷺ بفاتحة الكتاب. هذه التسمية تدلّ على أنّ القرآن مكتوب، وترتيبه توقيفيّ؛ لأنّ القرآن يستهلّ بسورة الحمد المباركة.

٧. حديث الثقلين المتواتر

كذلك يدلّ حديث الثقلين المتواتر، على جمع القرآن في زمن رسول الله ﷺ. على أساس هذا الحديث، يقول الرسول الأعظم ﷺ: ﴿إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي﴾^٢ يعتبر الرسول ﷺ أنّ تراثه شيئان اثنان: كتاب الله، وعترته. فهل يمكن أن نطلق اسم الكتاب، على سلسلة من الآيات المبعثرة المكتوبة على أشياء مختلفة، والتي كانت تُحْتَفَظ بها في منازل الناس؟ على أيّ مجموعة يُطلق اسم الكتاب؟ على وحدات مجزأة ومبعثرة، أم على وحدة منسجمة ومدوّنة تم جمع أولها وآخرها في مكان واحد؟^٣

١. البخاري: فضائل القرآن ١٦ باب من قال لم يترك النبي (ص) إلا ما بين الدفتين، فضائل القرآن ابن كثير ٥١: جاء في مكان آخر: ما ترك رسول الله (ص) إلا ما بين هذين اللوحين، أحمد ١: ٢٢٠، ولكن الحديث المذكور في النصّ أكثر اعتباراً.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٤١٥.

٣. عبد الله جوادي الأمليّ، نزاهة القرآن من التحريف، ص ١٦٠.

٨. ثلث القرآن، ورُبعه

يقول الرسول ﷺ: «من أخذ ثلث القرآن، وعمل به فقد أخذ أمر ثلث النبوة، ومن أخذ نصف القرآن وعمل به فقد أخذ أمر نصف النبوة، ومن تعلّم القرآن كله وعمل به فقد أخذ النبوة كلها»^١. كذلك يقول ﷺ: «كلّ من قرأ «قل يا أيها الكافرون» فكأنّه قرأ ربع القرآن، وكلّ من قرأ سورة التوحيد أُعطي له ثواب الثلث»^٢.

تدلّ هذه الرواية بوضوح على أنّ القرآن كان محدّداً ومعيناً بشكل كامل لدى الناس؛ بحيث أنّهم كانوا يستطيعون تحديد ثلثه وربعه ونصفه، وهذا لا يتحقّق إلاّ بكون القرآن كتاباً، وكونه بين يدي عامّة الناس.

٩. تقسيم القرآن

يقول الرسول ﷺ: «أُعطيّ مكان التوراة السبع الطّوال، وأُعطيّ مكان الإنجيل المثاني (من هود حتى النحل)، وأُعطيّ مكان الزبور المثين (التي تحوي ما لا يقلّ عن مائة آية)، وأُعطاني ربّي المفضّل (بعد الحواميم إلى خاتمة القرآن) نافلة»^٣ والقرآن مهيمن على بقيّة الكتب السماويّة.

هذا هو النظم الحالي للقرآن؛ فأول شئ السور السبع الطّوال، ثمّ المثاني، بعد ذلك المئون وفي النهاية السور القصيرة (المفضّل)؛ إذاً ترتيب السور كما قال الرسول ﷺ، ومن جهة كان هو أيضاً يحدّد موضع الآيات.^٤

١. كنز العمال في سنن الأقوال، ج ١، ص ٥٢٤.

٢. سفينة البحار، ج ٢، ص ٤١٦.

٣. الإتقان، ج ١، ص ٢٠١؛ شعب الإيمان للبيهقي، ج ٢، ص ٤٦٥.

٤. الصورة المنقولة حول أسماء السور في حديث عن أبي بن كعب، عن الرسول الأكرم ﷺ، قابلة للتطبيق بشكل كامل مع المصاحف الموجودة. فقط سورة الملك (٦٧) مع سورة السجدة (٣٢) جاءتا في مكان واحد. مقدّمتان في علوم القرآن

كذلك يقول: «لقد كثر الكذّابون عني، عندما تسمعون حديثاً عني أعرضوه على كتاب الله، فاقبلوا ما وافق كتاب الله وما خالفه فارموا به عرض الحائط.»^١

على هذا الأساس كان هناك مجموعة على شكل كتاب معهود ومعروف لدى الصحابة.

١٠. شعار حسينا كتاب الله

قال رسول الله ﷺ عند ارتحاله: «اتتوني بقلم ودواة لأكتب لكم شيئاً لن تضلوا به من بعدي. فقال عمر: «حسبنا كتاب الله»^٢. إذاً كتاب الله في ذلك الوقت كان مجموعاً ومحفوظاً ومعلوماً وفي متناول الناس؛ حيث أُحيلَ الناس إليه، وإلا لكان مثل هذا التبرير عبثياً.

يقول ابن عباس:

«جمعت المحكم على عهد رسول الله ﷺ يعني المفصل»^٣.

ترتيب السور المفصلة من سورة «محمد» حتى آخر القرآن، كان في عهد رسول الله ﷺ نفس ترتيبه الحالي، والمحكم هو المفصل.

١١. تأليف القرآن من الرقاع

يقول زيد بن ثابت^٤: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ.

يعتبر الحاكم في مستدركه هذا الحديث صحيحاً على شرط الشيخين (البخاري ومسلم).^٥

يقول البيهقي: «وَأَيْمًا أَرَادَ - وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ - تَأْلِيفَ مَا نَزَلَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ، فِي

١. وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٧٨.

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٤٦؛ صحيح مسلم، ج ٥، ص ٧٦.

٣. المعجم الكبير الطبراني، ج ١٠، ص ٢٣٤؛ كنز العمال، ج ٢، ص ٥٨٩.

٤. وهو الذي كان المباشر الأصلي للجمع والتدوين زمن أبي بكر وعثمان. كما كان كاتباً للوحي في زمن رسول الله ﷺ.

٥. مستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٢٤٩؛ نقل أبوشامه هذا الحديث عن كتب المدخل ودلائل البيهقي، وتمت الإحالة إليه في حاشية شعب الإيمان، ج ١، ص ٣٧٩؛ وكتاب الانتصار، ج ١، ص ٨٩؛ والمرشد الوجيز، ص ٤٤ و ٥٥؛ مقدمة تفسير المباني ٤٩.

سُورَتَهَا وَجَمَعَهَا فِيهَا بِإِشَارَةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ»^١ المقصود بهذا البيان أيضاً، هو الجمع والتأليف؛ حيث يقول زيد: كُنَّا نُوَلِّفُهُ مِنْ بَيْنِ الرَّقَاعِ، إِذَا كَانَ جَمْعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ.

الجدير ذكره أنّ بعض أهل السنة يعتبرون هذا الحديث دليلاً على وجهة نظرهم، ويقولون: لقد دعا أبو بكر زيداً ليجمع القرآن. فهو يقول لزيد: «كُنْتُ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^٢ لكنّ هذا الاستخدام أيضاً لا يستطيع إثبات ادّعائهم؛ لأنّه على أساس قول أبي بكر، كان زيد كاتب رسول الله ﷺ وكان يكتب الوحي للرسول ﷺ دون غيره ﷺ. إِذَا تَمَّ جَمْعُ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ. وبأمر منه ﷺ وكانت النسخة الأصليّة للوحي تبقي لدى الرسول الأكرم ﷺ؛ وكان الصحابة يستنسخون عنه أيضاً؛ وكان مثل هذا الأمر من الرسول ﷺ بكتابة القرآن، بغية حفظ القرآن ومنع تغييره و زواله. ويجدر ذكره أنّ عبارة «كان زيد يكتب لرسول الله ﷺ» قد تكررت كثيراً.

هكذا، كانت هذه الكتابات أساساً لما تلاه من مساعي الجمع والاستنساخ أيضاً.

ج. الدليل العقليّ

لقد انجلى وثبت بالأدلة النقلية أنّ حفظ القرآن وكتابته قد تمّ بأمر الرسول ﷺ وبإشراف مباشرين منه؛ والآن سنتناول الدليل العقليّ لهذا الادّعاء:

هل كان اهتمام الرسول ﷺ بحفظ القرآن وكتابته يؤتي أكله دون الاهتمام بحفظ نظم هذا الكتاب السماويّ وترتيبه وشموليّته؟

يمكن الالتزام بالوحي إلى آخر رمق واعتباره أكبرَ نعمةٍ إلهيّةٍ، من دون الاهتمام بنظمه وتأليفه؟ أ يصدّق أنّ الرسول ﷺ بهمته العالية تلك في تعليم القرآن وكتابته، يبقى فجأةً فاتراً لا

١. الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٧٨.

٢. البخاري، تفسير سورة، ج ٩، ص ٢٠؛ فضائل القرآن، ج ٣، ص ٤؛ أحكام ٣٧، الترمذي، تفسير سورة، ج ٩، ص ١٨؛ الإتقان، ج ١، ص ٢٠٣ نوع ١٨.

مباليًا بجمعه؟ أ يكون مستقبل القرآن الذي أبلغه بنفسه ﷺ وهو محور الحضارة الإنسانية و ركنها حتى قيام الساعة، يكون غامضًا ضبابيًا؟

لو لم يكن هناك دليل نقليّ وشهادة تاريخيّة، فإنّ العقل السليم والقرائن والأحوال أيضاً تُثبِت أنّ القرآن جرى تنظيمه وتأليفه بأمرٍ من الرسول ﷺ؛ لأنّه ليس مقبولاً أنّ يقدّم الرسول ﷺ كتابًا بوصفه معجزته الخالدة^١، ويسمّيه المنبع الأساسي لآخر الأديان^٢، ويعتبره الكتاب الإلهيّ وحبل الله^٣، لكنّه يتركه على حاله، بينما كلّ قسمٍ وجزءٍ منه مُبعَثَرٌ، في الخشب، والعظام، والجلد و...؛ إنّ الرسول الذي اهتم بأدقّ المسائل الفقهيّة وأصغرها، وكان يبيّنها للأُمَّة، لكنّه يترك القرآن لدرجة أنّه لولا شفقة الخليفة الأوّل ولو لم يقم بجمعه، لكان القرآن معروضاً للفناء بموت الحفّاظ ومقتلهم!!!

هكذا فإنّه كُتِبَ القرآن في عهد رسول الله ﷺ على الأوراق وأدوات التحرير لذلك العصر أيضاً، إضافةً إلى حفظه في الصدور، وكان بين يدي أصحاب الرسول ﷺ؛ كما كان لدى رسول الله ﷺ نسخةٌ تم ترتيبها بأمرٍ منه ﷺ أيضاً.

نظم غير بشريّ

أحد المؤيّدات العقلية لجمع القرآن في عصر رسول الله ﷺ، هو نوع ترتيب القرآن الذي يتعدّى الذوق البشريّ ويفوقه. هذا الترتيب الهادي الخاصّ يحكي عن وحياتيّة جمع القرآن. لو كان القرآن قد جُمِعَ على أساس الذوق البشريّ، لكان عدد الآيات، حجم السور، مكّيّة السور أو مدنيّتها، ترتيب النزول وأمثال ذلك، معايير ثابتةً وقطعيّةً، ولما كان نظمه الطبيعيّ ينكسر؛ بينما لا نشاهد هذا النظم في الترتيب الحاليّ للقرآن باعتباره معياراً ثابتاً؛ أي إنّ ترتيب السور ليس على أساس

١. المجلسي، محمدباقر، مرآة العقول، ج ١٢، ص ٤٧٤: «هذا حجة الله على خلقه»

٢. بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٩: «إني تارك فيكم الثقلين».

٣. الديلمي، حسن بن محمد، إرشاد القلوب، ج ١، ص ٧٩: «و هو حبل الله المتين».

التدرج من الصغير إلى الكبير، أو الكبير إلى الصغير، وليس على أساس عدد الآيات، ولا حتى بحسب ترتيب النزول في مكة والمدينة.

د. رأي العلماء

يقول الزرقاني العالم المصري:

وأنه [جمع القرآن في زمن أبي بكر] ليس من محدثات الأمور الخارجة ولا من البدع، والإضافات الفاسقة. بل هو مستمد من القواعد التي وضعها الرسول بتشريع كتابة القرآن واتخاذ كتاب للوحي وجمع ما كتبه عنده حتى مات صلوات الله وسلامه عليه.^١ تعتقد مجموعة كبيرة من علماء أهل السنة أنّ ترتيب الآيات والسُور ترتيبيّ.^٢ هذه النظرة تمثّل دليلاً آخر على جمع القرآن بأمر من الرسول ﷺ وفي زمنه.

كما أكّد الكثير من علماء الشيعة أيضاً، سواء في الماضي أم في الحاضر، جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ ومن بينهم يمكن الإشارة إلى أعظم مثل الشيخ الصدوق^٣، أمين الإسلام الطبرسي^٤، فتح الله الكاشاني^٥، سيّد ابن طاووس^٦، الشيخ الحرّ العاملي^٧، العلامة شرف الدين^٨، محمّد تقى شريعتي^٩، العلامة سيّد مرتضى العسكري^{١٠}، آية الله حسن زاده الأملي^{١١}، الدكتور

١. شرح السند نقلاً عن مناهل العرفان، ج ١، ص ٢٤٢-٢٤٣.

٢. انظر: الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٧١.

٣. الإعتقادات، ص ٨٢، باب ٣١.

٤. مجمع البيان، ج ١، ص ١٣.

٥. منهج الصادقين، ج ١، ص ١٣.

٦. سعد السعود، ص ٣٩-٤٠.

٧. الفصول المهمة، ص ١٦٦.

٨. أجوبة المسائل، ص ٣٩-٤٠.

٩. التفسير الحديث، ص ١٦.

١٠. القرآن الكريم و روايات المدرستين، ص ٦٨.



محمد حسين عليّ الصغير^٢، سيّد جعفر مرتضى العاملي^٣، وعليّ الكوراني^٤.
هذا ومن بين المعاصرين، قد أيّد الفقيه الكبير آية الله الخوئي^٥ الأدلّة الروائيّة والعقليّة
الرصينة لهذا الرأي ببحث ضافٍ مفصّل.^٥

الثاني. القرآن لا يقبل التحريف

التحريف في اللغة بمعنى الإمالة، وفي المصطلح بمعنى التصرّف في ألفاظ القرآن وتغييرها.
التصرّف إمّا في معنى الآيات، وهذا ما يُعبّر عنه بالتحريف المعنويّ، أو أنّ التصرّف في
الألفاظ و يُسمّى التحريف اللفظيّ. والتحريف اللفظي نفسه على ثلاثة أقسام: إمّا تحريف
بالزيادة، أو تحريف بالنقصان، أو تحريف بالترتيب.^٦

لقد طرأ على القرآن التحريف المعنويّ؛ لأنّ كلّ تلقّ منحرف وتفسير بالرأي تجسيد
ومصداق للتحريف المعنويّ وقد ابتليت مختلف الفرق الإسلاميّة بمثل هذا التحريف، لكنّ
التحريف اللفظيّ مثار للجدل بين الشيعة والسنة. بالطبع فإنّ الباعث على هذا النقاش هو
التحريف بالنقصان؛ لأنّ التحريف بالزيادة غير مقبول أبداً، في ضوء آيات التحديّ.

أدلة على عدم تحريف القرآن^٧:

هناك أربعة أدلّة على أنّ القرآن لا يقبل التحريف:

١. قرآن هرگز تحريف نشده است (فصل الخطاب في عدم تحريف كتاب ربّ الأرباب)، ص ٢٦.
٢. دراسات قرآنيّة، ص ٧٠ - ٧٢.
٣. حقايق مهم پيرامون قرآن كريم (حقائق هامة حول القرآن الكريم)، ص ٤٧.
٤. تدوين القرآن، ص ٢٣١.
٥. البيان، ص ٢٥٥ - ٢٧٨.
٦. لا شك أنّ تغيير مواضع الكلمات والجمل، يؤثّر في دلالتها؛ لذلك فإن تغيير الموضع على حسب شهادة العرف، يُعدّ
ضرباً من تحريف الكلام؛ كما يقول: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ سورة النساء، الآية ٤٦.
٧. البيان في تفسير القرآن، ص ٢٠٧.



أ. دليل قرآني

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^١

إنَّ الله تعالى في هذه الآية يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنَّه هو حافظ للقرآن. لذلك فإنَّ صدق هذه الآية لا يتطابق مع تحريف القرآن، والاعتقاد بأنَّ قسماً من القرآن حُذِفَ ولم يصل إلينا، وهو خلاف لصريح الآية ونصّها.

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^٢

بحسب منطوق هذه الآية، لا سبيل للباطل إلى القرآن؛ والتحريف أيضاً أحد مصاديق الباطل، ولا مكان له في القرآن.

كتب العلامة الطباطبائي ذيل هذه الآية:

إتيان الباطل إليه وروده فيه وصيرورة بعض أجزائه أو جميعها باطلاً بأن يصير ما فيه من المعارف الحقّة أو بعضها غير حقّة أو ما فيه من الاحكام والشرائع وما يلحقها من الأخلاق أو بعضها لغى لا ينبغي العمل به. وعليه فالمراد بقوله: " من بين يديه ولا من خلفه " زمانا الحال والاستقبال أي زمان النزول وما بعده إلى يوم القيامة، وقيل: المراد بما بين يديه ومن خلفه جميع الجهات، كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله فهو مصون من البطلان من جميع الجهات والمدلول على أي حال أنه لا تناقض في بياناته، ولا كذب في أخباره، ولا بطلان يتطرق إلى معارفه وحكمه وشرائعه، ولا يعارض ولا يغير بإدخال ما ليس منه فيه أو بتحريف آية من وجه إلى وجه.^٣

١. سورة الحجر، الآية ٩.

٢. سورة فصلت، الآية ٤٢.

٣. انظر: الميزان، ج ١٧، ص ٣٩٨.

ب. الأدلة الروائية

حديث الثقلين: ﴿إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَمْ تَضَلُّوا﴾^١.

نُقلَ حديث الثقلين بكثرة عن الشيعة والسنة^٢؛ هذا الحديث المتواتر دليل قوي على عدم تحريف القرآن، لأنَّ الرسول ﷺ قد قال بوضوح: إِنَّ النَّاسَ لَنْ يَضَلُّوا أَبَدًا بِتَمَسُّكِهِم بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ، وهذا الكلام لا يتطابق مع قبول القرآن للتحريف؛ لأنَّه مع قبول التحريف نقصت هداية القرآن أيضاً بمقدار الآيات التي حُرِّفَتْ أو حُذِفَتْ من القرآن، وحُرِّمَ النَّاسُ من تلك الهداية، وخبطوا في عمياء.

عرض الأحاديث على القرآن: ﴿كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُؤَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُحْرَفٌ﴾^٣.

من مجموع تلك الروايات نستنتج أنَّ القرآن هو المصدر الأساس للدين؛ حيث أحال المعصومون ﷺ المسلمين إليه، معتبرين إياه ميزاناً لقياس الحقِّ والباطل؛ لذلك فإنَّ المكانة المذكورة للقرآن لا تتوافق بأيِّ شكل من الأشكال مع خضوع القرآن للتحريف؛ إذ يمكن أن يُعتبر الخبر باطلاً ولا يُؤخذ به، إذا ما عُرِضَ على القرآن ولم يوافق للقرآن؛ بينما إذا وافق الخبر قسماً من القرآن قد تعرَّض للتحريف والحذف، فبالتالي لا يمكن للقرآن المحرَّف أن يكون ملاكاً وميزاناً مضبوطاً وكاملاً لتقييم الأحاديث.

ج. الإجماع

إنَّ كبار علماء الشيعة مُجمِعون على عدم قبول القرآن للتحريف.^٤ المعروف والمشهور بين

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٦.

٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج ٣ ص ١٤، حديث ١١١١٩.

٣. الكافي، ج ١، ص ٦٩.

٤. البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٠٠.

المسلمين أيضاً هو أنّ التحريف لم يطرأ قطُّ على آيات القرآن، وأنّ الكتاب الموجود بين أيديهم الآن هو نفس القرآن المُنزَل على الرسول ﷺ؛ مثل: المرحوم الشيخ الطّوسي الذي يُسمّى شيخ الطّائفة. فله في مستهلّ تفسيره المشهور بحث واضح وحاسم في هذا المجال.^١ السيّد المرتضى رئيس المحدثين^٢، المرحوم الصّدوق محمّد بن عليّ بن بابويه^٣، والرحوم الشيخ المفيد^٤ أيضاً لا يقبلون التحريف في القرآن. كما أشار إلى هذا الأمر الهامّ، المفسّر الكبير المرحوم الطبرسيّ في مقدمة تفسيره^٥، والرحوم كاشف الغطاء^٦ أيضاً. كما أنّ كبار أهل السنّة وباحثيهم على هذه العقيدة أيضاً.^٧

د. العقل

لقد أنزل الله القرآن من أجل هداية البشر: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾^٨ وأرجع الناس إليه في أعمالهم وشؤونهم المختلفة، إذن ليس معقولاً أن يترك الله هذا الكتاب ليقوم كلّ شخص حسب أهوائه بإنقاص شئ منه أو زيادة شئ فيه، لأنّ الغرض الإلهي سينتقض بذلك. بعبارة أخرى، الدين الإسلاميّ هو الدين الخاتم والآخر وأكمل الأديان السماويّة المرسلّة لسعادة البشر، من جهة فإنّ أحد المصدرين الأساسيين والرئيسيين لهذا الدين هو القرآن الكريم؛ الكتاب الخالد الذي أنزل لهداية جميع الأجيال إلى يوم القيامة ولم يُترك شئٌ ولم يُغادر، لذلك لا يمكن القبول بأنّ مثل

١. المصدر نفسه، ص ٣.

٢. نقلاً عن مجمع البيان، ج ١، ص ٤٣.

٣. الصدوق، الاعتقادات، ص ٨٤.

٤. المفيد، المسائل السرويّة، ص ٨٢.

٥. الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٨٣.

٦. جعفر بن خضر، النجفي (كاشف الغطاء)، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

٧. مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١١٩-١٢٠؛ الفصول المهمّة، ص ١٦٤ - ١٦٦؛ إظهار الحق، تحقيق الدسوقي، ج ٢، ص

٢٠٦ - ٢٠٩.

٨. سورة البقرة، الآية ١٨٥.

هذا الكتاب يخضع للتحريف، أو أن يُحْدَفَ قسَمٌ منه؛ لأنّه سيستلزم النقض للدين الخاتم. من جهة أخرى لن يكون هناك دين آخر يكمل هذا الدين، لذلك يجب عقلاً على الشارع أن يحمي مثل هذا الكتاب من التحريف.

الجدير بالذكر أنّ عدم خضوع القرآن للتحريف هو حارس لسائر المبادئ في عصر ما بعد النزول أيضاً؛ لأنّه إذا اعتبر أحدٌ أنّ القرآن قد تعرّض للتحريف، فإنّه أثناء مروره بمواطن الإبهام في نظم القرآن اعتبر ذلك الإبهام تحريفاً بدل البحث عن الحكمة في ذلك، وسيحرم من بركات كشف نظم القرآن الكريم.

الثالث. لغة القرآن

تُعتبر معرفة لغة القرآن من المواضيع والأبحاث الهامة، والمقصود بذلك شرح طبيعة القضايا والأخبار القرآنيّة وكيفية نقل مفاهيمها. «لغة القرآن» تختلف عن «مفردات القرآن». لغة القرآن، لغة ذات مغزى أرسلها الله لهداية الناس، وتمتلك ألواناً وأشكالاً عديدة مثل لغة العرف العام. إنّ لغة القرآن تمتلك ميزات وسمات خاصّة مثل: الهداية والتمتّع بالفائدة العالميّة، إنّها لغة كاملة ومكوّنة من لغة العرف العامّ والعرف الخاصّ و... .

خصائص لغة القرآن

أولاً. شفهيّة لغة القرآن

إحدى خصائص لغة القرآن شفهيّتها، وقد أُشير في القرآن إلى ذلك، حيث يقول: ﴿أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^١ وكذلك يقول: ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَأَنَا مَهْتَدِيٌّ وَلَوْ كَفَرْتُ لَأُتَمِّدَنَّكُمْ﴾^٢ من التّنذرين

من خصائص الكلام الشفهيّ والخطابيّ أنّ المخاطب يفهم كلام المتكلّم أسهلّ وأيسر، وأنّ

١. سورة العلق، الآية ١.

٢. سورة النمل، الآية ٩٢.



المتكلم لا يحتاج إلى علامات خاصة في التعبير عن مختلف الجمل؛ بل إنه يوصل مقصوده للمخاطب من خلال تغيير الإيقاع واللحن؛ مثل: الجمل الاستفهامية، والخبرية والتعجبية؛ لكن هذه الخصيصة ليست في الخطاب التحريري، ولا تُستخدم العلامات في القرآن؛ وعليه فيختلف الخطاب التحريري عن الشفهي.

ثانياً. واقعية لغة القرآن

إحدى الخصائص الأخرى للغة القرآن الكريم واقعيته؛ سواء عندما يتحدث عن ظواهر العالم وحوادثه، و سواء عندما يخبر عن وقوع القيامة وصفاتها و كيفيتها: ﴿ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾^١ و ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾^٢.

ويجدر ذكره أنّ بيان حقائق الهداية ليس سبباً في أنّ يتحدث القرآن عن الفرضيات، وأن يعمد إلى التنظير فحسب؛ بل حتى عندما يتحدث عن القوانين الكلية أيضاً فليس في أجواء ذهنية خالية، فهو يحكي عن واقع خارجي؛ لذلك فإنّ كلام القرآن الكريم ولغته عينيّان غير ذهنيّين.

ثالثاً. أفضلية الأدب القرآني على الأدب العربي

هناك ثلاثة تصوّرات بين الأدب القرآني والأدب العربي:

١. الأدب القرآني يتبع الأدب العربي في جميع استخداماته.
٢. الأدب القرآني جديد، ولا يتبع الأدب العربي بأيّ شكلٍ من الأشكال.
٣. الأدب القرآني ليس تابعا للأدب العربي ولم يأت بأدب جديد. إذاً إنّه منفصل عن الأدب العربي ومستقلّ عنه؛ لذلك فالأدب القرآني بطريقة ما، شاهد ومشرف على الأدب العربي، وبما له من هيمنة عليه، فإنّه يؤيّده في معظم الحالات؛ وفي بعض الحالات يقوم فيه

١. سورة النساء، الآية ٨٧.

٢. نفس السورة، الآية ١٢٢.

بالإصلاح والتعديل ليعطي الأدب العربيّ زخماً.

يعود السبب في عدم اتباع الأدب القرآنيّ للأدب العربيّ إلى الاختلاف المشهود بين قواعد الأدب العربيّ والأدب القرآنيّ؛ على سبيل المثال فقد جاء في باب الموصولات المشتركة أنّ «مَنْ» موصول مشترك يُستخدَم في ذوي العقول، وأنّ «ما» الموصولة أيضاً تُستخدَم لغير ذوي العقول؛ ولكن ما رُوِعتْ هذه القاعدة في التعابير القرآنيّة؛ حيث استُخدِم كلٌّ من هذين الموصولين لذوي العقول وكذلك لغير ذوي العقول. كما جاء في الآية: ﴿مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^١ حيث أُستعمِلت «مَنْ» للإنسان، ولكن في الآية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ فِيهَا مَعَايشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾^٢ أُستعمِلت «مَنْ» لغير ذوي العقول-الحيوانات-. أيضاً في الآية ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^٣ أُستعمِلت «ما» لغير ذوي العقول، ولكن في الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^٤ أُستعمِلت لله.

كذلك لا يمكن القول إنّ للقرآن أدباً جديداً ومستقلاً عن الأدب العربيّ؛ لأنّ القرآن باللغة العربيّة، وقد نزل بين العرب، وجاء لهدايتهم؛ وعليه فلا بدّ من أن يتحدّث بلغتهم ليدركوا وليطبّقوا أوامره؛ فلو نزلت الآيات الإلهيّة بأدبٍ وقواعدٍ جديده، لما استطاعت أن تتخاطب أهل ذلك العصر أو تهديهم.

رابعاً. عرفيّة لغة القرآن (لغة العرف العام)

هل لغة القرآن عرفيّة وتحدّث القرآن بلغة العرف العام، أم أنّ شأن القرآن أعلى من ذلك، وأنّ لغته أسمى من لغة العرف العام؟ (مثلاً يمتلك لغة علميّة أو فقهية أو فلسفيّة أو ...).

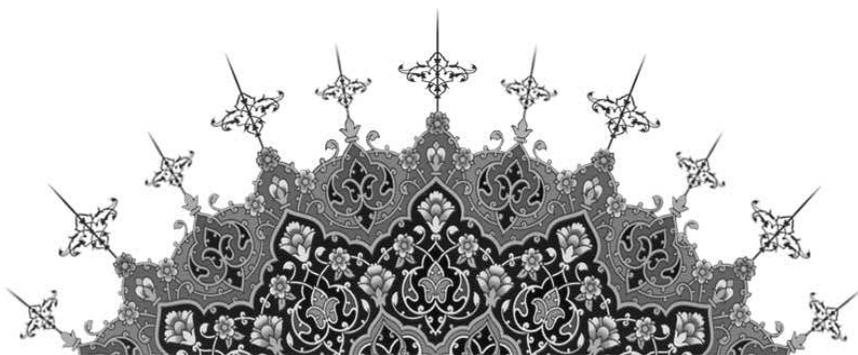
- ١ . سورة البقرة، الآية ٨ .
- ٢ . سورة الحجر، الآية ٢٠ .
- ٣ . سورة البقرة، الآية ٢٩ .
- ٤ . سورة الشمس، الآية ٧ .



من أجل الإجابة على هذا السؤال، لا بدّ أن نعلم أولاً أنّ لغة العرف العامّ ليست لغة عاميّة، بلا عمق ومضمون وفاقة للمفاهيم؛ بل إن الله الحكيم بحكمته وعلمه وصفاته الأخرى قد تجلّى في القرآن؛ بحيث يكون القرآن مفهوماً لدى العرف وعامة الناس وهادياً لهم. من جهة أخرى، فإنّ الدين الإسلاميّ الشريف حتّى في بيان الأحكام الإلهيّة قد أولى العرف العام أهميّةً، ودافع عنه بعد التصحيح وسدّ النقائص؛ لذلك لا يمكن الادّعاء أنّ الآيات الإلهيّة لها لغة خارجة عن إطار لغة العرف العامّ.

كما أنّ اعتبار لغة القرآن عرفيّةً مؤثر لل غاية في فهم مفردات القرآن وترجمتها. بعبارة أخرى، إنّ ألفاظ القرآن موضوعة للعرف العامّ، وفي المعنى الأوّل وظهور كلّ مفردة، يجب الاهتمام بلغة العرف العامّ؛ و ليس بالمصطلحات الخاصة والتفاسير العقلية والفلسفيّة والأدبيّة والفقهيّة و... . لذلك إذا أردنا في موطنٍ ما، أن نحمل اللفظ غير المعنى المفهوم في العرف العامّ، فإنّه بحاجة إلى قرينة.

وبالتالي يمتلك القرآن اللغة العرفيّة والعرف العامّ، ليتمكّن كلّ قومٍ وشعبٍ بلغتهم التمتع بحقائق القرآن ومفاهيمه، يُذكر أنّه لو كانت لغة القرآن عرفيّةً؛ فإنّه بعد الترجمة إلى اللغات الأخرى أيضاً سيكون في متناول جميع الشعوب، وهادياً لهم. لكن لو كانت لغة القرآن لفئة دون فئة، فإنّه بعد الترجمة إلى أيّة لغة أخرى، سيفقد تلك اللغة الخاصّة بالترجمة و استخدامه العامّ.



أسس التدبّر في القرآن

للتدبر في القرآن كغيره من النشاطات القرآنية أسس، سندرس في هذا الفصل أسس التدبر في القرآن. وبالمناسبة يجب التذكير أنّ كلّ واحدة من خطوات التدبر الثلاثة (استكشاف البناء، واستكشاف الجهة، تفهم النص) تتمتع بمبادئ خاصة أيضاً، حيث سنتحدث عن كلّ منها في قسمٍ خاصٍّ بها.

الأول. وضوح القرآن وبلاغته

بناءً على آيات القرآن الكريم المتعلقة بالتدبر، فإنّ فهم القرآن واجب على الجميع؛ لذلك يجب القبول بأنّه يمكن لجميع البشر فهم القرآن؛ وإن كان من الضروري أن نعلم أنّ مثل هذا الفهم له متطلّبات ومقدّمات.

كتب آية الله جواديّ الآملي:

لما كان القرآن قد نزل لهداية الجميع، فإنّ جميع الذين يسكنون نطاق الأرض والزمان سيتمّعون بنور هدايته، وفي فهم المعارف القرآنية لا اعتبار بثقافة خاصّة؛ بحيث يتعطلّ بدونها اكتناه الأسرار القرآنية، ولا حضارة خاصّة تمنع ذلك؛ بحيث لا يتيّسر في ظلّها الانتفاع باللطائف القرآنية، فالقرآن نذير للعالمين، وهادٍ لجميع البشر.^١

١. التفسير الموضوعي، القرآن في القرآن، ج ١، ص ٣٥٣.

إنَّ رِفْضَ عُمُومِيَّةِ فَهْمِ الْقُرْآنِ، يَطْعَنُ فِي قِيَمَةِ وَاعْتِبَارِ كُلِّ فَهْمٍ لَهُ. جَمِيعُ الْبَاحِثِينَ فِي الْقُرْآنِ مَاعِدَا قَلَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنْهُمْ، يَرُونَ طَرِيقَ فَهْمِ الْقُرْآنِ مَفْتُوحًا لِغَيْرِ الْمَعْصُومِينَ؛ لَقَدْ وَرَدَتْ أَدَلَّةٌ كَثِيرَةٌ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِنَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ وَانْعِدَامِ الْغَمُوضِ فِي هَذَا الْمُعْتَقَدِ، كَمَا تَمَّتْ دِرَاسَتُهُ فِي الْمَقَالَاتِ وَالْكَتَبِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِعُلُومِ الْقُرْآنِ.

سَنَكْتَفِي فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ بِإِثْبَاتِ وَضُوحِ الْقُرْآنِ وَبِلَاغَتِهِ فِي مَقْصُودِهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ فَصِيحًا وَبَلِيغًا، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ^١ سَيَكُونُ لَغْوًا أَوْ أَنَّ تَكْلِيفَ الْإِنْسَانَ إِتْيَاهَ سَيَكُونُ خَارِجَ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ وَطَاقَتِهِ؛ وَمِثْلَ هَذَا الشَّيْءِ بَعِيدٍ عَنِ سَاحَةِ اللَّهِ. فَمِنْ جِهَةِ إِنَّ التَّوْصِيَّاتِ وَالْأَوْامِرَ الْكَثِيرَةَ الْوَارِدَةَ فِي الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، تَشْهَدُ عَلَى فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَبِلَاغَتِهِ.

الأدلة القرآنية

لَقَدْ أُشِيرَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ إِلَى فَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ وَعُمُومِيَّةِ فَهْمِهِ، كَمَا يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٢ كَذَلِكَ يَقُولُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^٣، دَارَ الْحَدِيثِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ حَوْلَ تَيْسِيرِ الْقُرْآنِ لِأَفْهَامِ النَّاسِ.

كَذَلِكَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^٤ أَوْ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^٥ كَذَلِكَ يَقُولُ: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^٦.

١. سورة النساء، الآية ٨٢: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾

٢. سورة القمر، الآية ١٧.

٣. سورة الدخان، الآية ٥٨.

٤. سورة النساء.

٥. سورة يونس، الآية ٥٧.

٦. سورة التغابن، الآية ٨.

إنّ ما جرى ذكره في هذه الآيات بوصفه نورًا مبيّنًا، وذكرًا وموعظةً، يحظى بظاهرٍ فصيحٍ وبلغٍ. إنّ الدعوة الناس إلى التدبر في آيات القرآن وتشجيعهم على ذلك، يشهدان بوضوح أيضاً على فصاحة آياته وبلاغة آياته ومعانيه، وإلا لكانت دعوة عامّة الناس إلى التدبر عبثاً.

دليل روائي

يعتبر الإمام الباقر عليه السلام أنّ الذين يزعمون أنّ القرآن مبهم قد هلكوا، ومهدوا لهلاك غيرهم: ﴿مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْكِتَابَ مُبْهَمٌ فَقَدْ هَلَكَ وَ أَهْلَكَ﴾^١.

الثاني. الاعتماد على ظاهر الألفاظ

إنّ التدبر عمل لفظي، ويقوم على أساس المستندات اللفظية، وليس على الاستدلالات العقلية، إذا استفدنا في التدبر من مصدر العقل والاستدلالات العقلية، فإننا سنضطرّ للدخول في مجال التفسير العقلي ونكون قد ابتعدنا عن التدبر.

هذا الكلام لا يعني أنّ حصادنا في عملية التدبر، ليس مستدلّاً، ولا يوجد دليل عقلي على صحته؛ بل إنّ حصيلة التدبر تستند إلى ظاهر ألفاظ القرآن، ولا تخرج من نطاق الظاهر؛ لذلك لا حاجة للاستدلال العقلي؛ لأنّ ظاهر الألفاظ حجة، ومفهوم للجميع. وبالتالي فإنّ النهج الأساس في التدبر هو ظاهر ألفاظ القرآن الكريم، وبالطبع ما يُستفاد من الظاهر، مستدلّ كلّه، وذو حجّة على أساس الدليل العقلي.

الثالث. الرؤية التكاملية للآيات

إنّ التدبر رؤية تكاملية لآيات القرآن الكريم وسوره، وليس نظرة تجزيئية؛ لذلك لا يُنظر في التدبر إلى كلّ آية منفصلةً ومستقلةً؛ بل يُنظر إلى مجموع الآيات المترابطة المتناسقة، كما ينبغي العمل لاستنباط الرؤية القرآنية حول موضوع خاصّ. لذلك لا يمكن اتّخاذ آية واحدة حول موضوع ما معياراً؛ بل لا بدّ من جمع الآيات كلّها، ومن ثمّ يمكن استنباط رأي القرآن برؤية

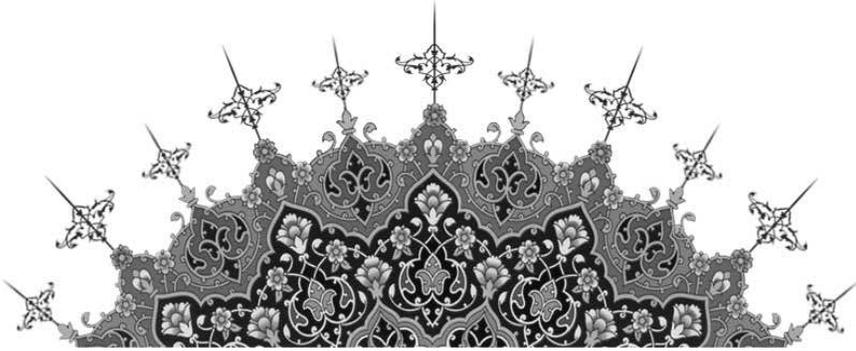


تكامليّة وفهم مجموع تلك الآيات.

وبالتالي لا يمكن الاكتفاء بقراءة آية أو عدّة آيات قراءة مستقلة ومنفصلة عن بعضها، حتّى في قراءة القرآن وفهم عدّة آيات من سورة واحدة أيضاً؛ بل يجب أن تكون النظرة للآيات تكامليّة. من أجل الفهم الصحيح لآية واحدة، فلا بدّ أولاً من الفهم التكامليّ للآيات السابقة واللاحقة لتلك الآية، وكذلك للآيات الواقعة في نفس ذلك السياق، ثمّ نحصل على معنى تلك الآية.

الرابع. النهج الإرشاديّ

إنّ القرآن كتاب الهداية، وقد أنزلَ لوصول البشر وإيصاله إلى سعادة الدنيا والآخرة. فالقرآن ليس كتاباً فقهياً، تاريخياً، أخلاقياً، علمياً وأمثال ذلك، كي يخصّص فصلاً مستقلاً بكلّ موضوع، ويصنّف موادّه؛ لذلك وفي التعامل مع القرآن أيضاً، فلا بدّ من نهج الهداية ليتسنى الانتفاع بهدأيته. الجدير بالذكر أنّه جاء في القرآن النهج الفقهيّ، والتاريخيّ، والعلميّ، و... أيضاً، لكننا نسعى إلى التصريح بهذه الحقيقة؛ ألا وهي أنّ نهج القرآن هو نهج هداية، وأنّ النهج الأخرى هي أدوات للوصول إلى النهج الإرشاديّ.



أسلوب التدبّر في القرآن

للقرآن الكريم مستويات مختلفة من الفهم، والتدبر هو نهج الحد الأدنى والمستوى الأدنى في فهم القرآن. اعتبرت الآيات والروايات أيضًا التدبر واجبًا عامًا، يدلّ في حدّ ذاته على كون التدبر في الحد الأدنى، لكن لا الجميع قادرون على مستويات أعلى من التدبر مثل التفسير، والتأويل، والتطبيق والبطن، ولا أنّهم مكلفون إيّاها.

للتدبر في القرآن مقدّمات ومتطلّبات، مثل المهارات القرآنيّة الأخرى؛ لذلك من الضروريّ أن نحصل بدايةً على مقدّمات التدبر في القرآن. ويلزم قبل التدبر، توفير مقدّمات مثل: القراءة الصحيحة للقرآن، التعرّف على الأدب القرآنيّ السهل، والإمام بترجمة القرآن ومفاهيمه.

تفهم النصّ

مرّ معنا في تعريف التدبر أنّ التعريف الجامع والمانع للتدبر عبارة عن: «التفهم العام المنهجيّ لظاهر نصّ القرآن الكريم».

تفهم النصّ هو الهدف الأصيل للتدبر، وتدبر القرآن يعني تفهم النصّ. وفي أسلوب تدبر القرآن، يتم تفهم نصّ القرآن بآياته وسوره عدّة مرّات، مرّةً بغية فهم المفردات الصعبة في الآيات والسُّور، ومرّةً أخرى من أجل فهم بنية الآيات والسُّور، ومرّةً ثالثة لفهم جهة الآيات و السُّور.

في عملية تفهّم النصّ هناك حاجة للقراءة ثلاث مرّات: في القراءة الأولى نتعرّف على الآيات والسُّور كلماتها ومفرداتها، في القراءة الثانية نطلّع على بناء الآيات والسُّور، وفي القراءة الثالثة ندرك الجانب الإرشاديّ في الآيات والسُّور.

لكلمة «التفهّم» قيود وخصائص لا بدّ من شرحها.

١. التفهّم

«تفهّم» مصدر باب «التفعل» ومن جذر «ف ه م». في علم الصرف باب التفعل مطاوعة لباب التفعيل؛ إذاً يعتبر «التفهّم»، مطاوعةً لـ«تفهيم». والتفهيم هو الآخر بمعنى أن تجعل أحداً يفهم أمراً، والتفهّم بمعنى قبول هذا التفهيم وتلقّيه والوصول إلى الفهم. التفهّم معناه أنّ «التفهيم» في القرآن الكريم قد تحقّق من جانب الله الحكيم، وعلى المتدبّر أن يتمكن من قبول التفهيم الإلهي، ويصل إلى «التفهّم». بعبارة أخرى؛ التفهّم فرع للتفهيم، وعندما يدور الحديث عن تفهّم القرآن، فإنّ تفهيمه قد تمّ من جانب الله خالق القرآن؛ لذلك يجب على المتدبّر أن يسعى لتكون قراءة القرآن قراءةً تدبّريّة، ومثل هذه القراءة رهين بالتفهّم التفصيلي لنصّ القرآن، الذي يتبعه سلاسة النصّ وتسهيله من جهة، ومن جهة أخرى يعرف المخاطب على النصّ بالتفصيل، وثمره ذلك هي التذكّر وبقاء القرآن في روح المخاطب خالداً. في أسلوب تفهّم النصّ، يجري توظيف خمسة أنواع للفهم القرآنيّ، يدور جميعها في نطاق ظاهر المفردات القرآنيّة: الفهم السباقيّ، السياقيّ، القياسيّ، التكالميّ، والإرشاديّ.

أ. الفهم السباقيّ

السباق هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من اللفظ والعبارة والآية، وهو النصّ أو الظاهر. مثل معنى جملة ﴿لَأَقْسِمُ﴾ في الآية ﴿لَأَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^١. لدى دراسة هذه الآية، ومن دون أيّ فرض مسبق خاصّ، يُخطر ببال القارئ أنّ ﴿لَأَقْسِمُ﴾ بمعنى أنني لا أحلف، و«لا» نافية.

١. سورة القيامة، الآية ١.

ب. الفهم السياقي

التفهم هو المعنى الحاصل من العلاقة بين الجمل ذات السياق الواحد؛ تلك العلاقة التي تتضح بدلالة الالتزام البيّن، ونطاقها هو ما بين الجمل والآيات. الجدير بالذكر أنه لا ينبغي في تفهم النصّ، تصوّر أيّ جملة أو آية - ولو في الظاهر - منقطعةً عما قبلها أو بعدها، بل تتضح علاقة الجملة والآية بما قبلهما وبعدهما تلقائيًا. في بعض الأحيان يمكن على ضوء السياق، الوصول إلى فهم أكمل للآية، كما هو الحال في الآية الشريفة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾^١ حيث لم يُذكر مفعول الفعل ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ وهو متعلّق بالتصديق، ولكن يمكن القول إنه بناءً على سياق الآية الذي يدور حول خلق الإنسان على يد الله تعالى، فإنّ متعلّق التصديق سيكون كما يلي: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ خَلَقَكُمْ مِنْهُ أُخْرَى﴾، ويمكن استخلاص هذا المعنى بالتأمل في السياق.

ج. الفهم القياسي

هو الفهم الحاصل من التناسبات، التعارضات، الاشتراكات، تناسب الأصوات وكذلك الاهتمام بصدر النصّ وذيله، وما بين الفئات والسياقات، ونطاق ذلك بين السياقات، والفئات وفي النصّ بأكمله.

بناءً على ما قيل، فإننا نشير إلى الفهم الحاصل من المقارنة بين مجموعتين من الآيات في سورة الواقعة:

الآيات ١١ حتى ٤٠ من هذه السورة على قسمين:

المجموعة الأولى. الآيات المتعلقة بالمقرّبين:

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ (١٩) وَقَاصِحَةٌ يَمَّا يَخْتَبِرُونَ (٢٠) وَلَحْمٍ طَيِّبٍ يَمَّا يُشْتَهَوْنَ (٢١) وَخُورٍ عَيْنٍ (٢٢) كَأَمْثَالِ الْأُولُو الْمُكْنُونِ

(٢٣) جَزَاءً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

المجموعة الثانية. الآيات المتعلقة بأصحاب اليمين: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَثْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠) ﴾^١.

في عملية التفهيم، عندما نقارن بين منزلة المقربين وأصحاب اليمين ونعمهم، يظهر الفرق في درجاتهم جلياً:

فقد قال بشأن المقربين: « فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ »، وفي المقابل يقول بحق أصحاب اليمين: « فِي سِدْرٍ مَّحْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وَظِلِّ مَمْدُودٍ » و واضح أن هناك فرقاً كبيراً بين الحدائق المليئة بالأشجار، و شجرة سدر و موز.

كذلك في البداية قال بحق المقربين: « يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفِقُونَ » وفي المقابل يقول بحق أصحاب اليمين: « وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ » لكنه لم يذكر لهم سرراً موضونة ولم يذكر "ولدان مخلدون" و"شراب مما يتخيرون" كالذي ذكره للمقربين؛ بل إنما ذكر الماء المسكوب الذي عليهم أن يشربوا منه، وذلك الشرب ليس بأكواب وأباريق؛ بل عليهم أن يشربوا بأيديهم.

وبشأن المقربين يقول: « وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ »، لكنه يذكر لأصحاب اليمين فواكه معينة و كثيرة طبعاً؛ كذلك يذكر للمقربين لحم الطير، لكنه لم يعد لأصحاب اليمين مثل تلك النعمة. إنَّ التدقيق في التعابير الواردة حول الحور العين المذكورة للمقربين، يُظهر فرقهن عن نساء الجنة لأصحاب اليمين أيضاً.

وأخيراً يقول بحق المقربين: « وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ » يصلون إلى هذا المقام، لكنه يقول بشأن



أصحاب اليمين: « وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ » أي كثير منهم يصلون إلى هذا المقام.

د. الفهم التكاملي

إنّ الفهم التكاملي هو الاتصال على الصعيد الأدبي، واللفظي، والموضوعي داخل آيات السورة وفيما بين هذه الآيات. لهذا الفهم دور كبير في تفهّم النصّ. في الخطوتين السابقتين (استكشاف البناء، واستكشاف التوجيه) حصل هذا الأمر بشكل جيّد، وتكوّن التأسيس للتفهم. هذه الخطوة أيضًا تحتاج إلى الفهم التكاملي. يدرس المتدبر في هذه الخطوة جميع الألفاظ وجميع مفردات الآيات كلّاً على حدة، ويقوم بتفهمها تفهّمًا تكامليًا، وذلك بعكس استكشاف البناء أو استكشاف التوجيه الذي يتناول قسمًا خاصًا في الآيات فقط.

كما مرّ معنا، فقد وردت بالتفصيل المكانة الأخرويّة للمقرّبين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال في الآيات ١١ حتى ٥٦ من سورة الواقعة، ثمّ في نهاية السورة أيضًا دار الحديث بشكل مجمل عن مكانة المجموعات الثلاث المذكورة: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنَزُلُ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ۞

إذا لم يكن المتدبر أثناء مواجهته لهذه الآيات، قد انتبه لفهم السورة التكاملي، فقد ظنّ أنّ هذه الآيات مكرّرة، وأنها عادت الحديث ثانية، عن المكانة الأخرويّة لهذه الفئات الثلاث، ولكن عندما يتمتّع بالفهم التكاملي، فإنّه سيدرك أنّ الآيات الأخريرة في السورة، تشير إلى المكانة البرزخيّة لهؤلاء، وليست لأحوالهم الدنيويّة والأخرويّة.

هـ: الفهم الإرشادي

الفهم الإرشادي هو نظرة استنتاجيّة لسير المشتركات و النقاط الرئيسة للنصّ بأكمله. كما أنّ نطاق هذا الفهم هو النصّ بأكمله، ويترك تأثيرًا إرشاديًا في الرؤية والدافع والأسلوب؛ وبالتالي فإنّ نظرة المتدبر إلى القرآن، يجب أن تكون من منظار الهداية والإرشاد في القرآن.

٢. عمومية التدبر

إنّ درجات فهم القرآن مختلفة. فأول درجة لفهمه عامّة. الدليل على ذلك عدّة نقاط:
الأولى: أنّ الله سبحانه وتعالى، وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام قد أوصوا الناس بتدبر القرآن؛ فلو لم يكن تدبر القرآن ميسوراً للجميع، فإنّ الأمر بالتدبر سيكون لغواً أو تكليفاً خارج طاقة البشر.

كما يصرّح القرآن الكريم أنّه كلام الله ومعجزة، وأنّه لو كان من عند غير الله لكان فيه اختلافات كثيرة؛ لذلك دعا القرآن الناس إلى التدبر ليفطنوا إلى تناسقه وبالتالي يدركوا أنّه إلهي من عند الله؛ لذلك يستطيع جميع الناس التدبر في القرآن ليفهموا تناسقه أو عدم تناسقه، ويصدّقوا أنّ القرآن كلام الله.

الثانية: لو لم يكن ظاهر القرآن مفهوماً للجميع، أو كان فهم ظاهره مختصاً بفرقة مثل المفسرين، لكان التحدي وطلب المناقشة والمنازعة بلا جدوى.

الثالثة: لو لم يكن ظاهر القرآن مفهوماً للجميع، لما كان أبداً معياراً لاعتبار السنّة وحجّيتها. فالقرآن هو ميزان عرض الروايات، ويجب أن تُعرض الروايات على آيات القرآن؛ وكما جاء في الروايات؛ كلّ كلام نُقل عنّا، إذا كان موافقاً لكتاب الله فاقبلوه، وإذا كان مخالفاً له فارمونه. كذلك قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في أرض منى: «أَيُّهَا النَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُؤَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهُ وَ مَا جَاءَكُمْ يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلْهُ» كذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام: «إِنَّ عَلِيَّ كُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً وَ عَلِيٌّ كُلِّ صَوَابٍ نُورًا فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَ مَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ»^٣ وكذلك يقول عليه السلام: «وَ كُلُّ حَدِيثٍ لَا يُؤَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ»^٤ هذه

١. سورة النساء، الآية ٨٢: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

٢. الكافي، ج ١، ص ٦٩.

٣. أمالي الصدوق، ص ٣٦٧.

٤. الكافي، ج ١، ص ٦٩.

الأحاديث ليست خاصة بإزالة التعارض بين الروايات، بل تشير إلى قاعدة عامة في الرواية، سواء كانت معارضة أم لا.

الرابعة: لو كان ظاهر القرآن غير مفهوم لدى الجميع، لما قام المعصومون عليهم السلام بإحالة المجتمع البشري إليه أبداً. ﴿فَإِذَا التَّبَسَّتِ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ^١﴾.

الخامسة: أنّ فهم ظاهر القرآن وجدائيّ يمكن الحصول عليه من خلال تلاوة القرآن ومشاهدة آيات موضوع ما. ولا سبيل للغموض والشك والتعارض في مثل هذا الفهم؛ وإن كان فهم أيّ كتاب بحاجة إلى العلوم الأساسيّة والمعارف الخاصّة بذلك الكتاب، مما ينبغي أن يتوقّر من قبل.

السادسة: أنّ الله وصف القرآن بأنّه هادٍ ونورٌ ومبينٌ لكلّ شيء، فكيف يمكن لما هو نور أن يتّضح ظاهره بغيره، ناهيك عن باطنه ومستوياته العميقة؟!

كتب المرحوم الشيخ الطوسي رحمته الله:

إنّه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضادّ. فكيف يجوز أن يصفه بأنّه عربيّ مبين، وأنّه بلسان قومه، وأنّه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء؟ وهل ذلك إلا وصف له باللُغز والمعصيّ ... و ذلك منزّه عنه القرآن.^٢

٣. منهجيّة التدبر

تدبر القرآن مهارة وأسلوب مثل التفسير، وليس معرفةً وعمليّة ذوقية وسليقيّة؛ ولذلك فهذه مبادئ وأسس وأصول ومنهجيّة خاصّة؛ الجدير بالذكر أنّ هذا الأسلوب ليس تخصصياً ومعقّداً مثل بقية الأساليب، بل إنّ أسلوب بسيط وشامل يستطيع الجميع أن يفهموه ويتعلّموه.

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٩٨.

٢. تفسير التبيان، ص ٤.



٤. ظاهر القرآن

المقصود بظاهر القرآن «نص» ألفاظ القرآن الكريم و«ظاهر» معناها. الرأي المشهور لعلماء الأصول هو حجية ظواهر القرآن. على الرغم من أن هذا الموضوع قد جاء بشكل مفصل في الأصول؛ إلا أننا نستعرض بشكل سريع أدلة إثباته:

الأول. الأدلة القرآنية

أشير في القرآن إلى هذه الحقيقة العقلية والعرفية. لقد أشار المرحوم آية الله الخوئي لإثبات حجية الظواهر^١، إلى بعض الآيات:

الآية الأولى. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^٢

إن الله يعاتب الذين لا يتدبرون في القرآن. فكيف يمكن التدبر في القرآن الذي ليس ظاهره حجة؟

الآية الثانية. ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٣

هذه الآية و أمثالها تبين أن القرآن كتاب بسيط للتذكر و الاعتبار، و أن ظواهره مفهومة لجميع الناس و حجة عليهم.

الثاني. الأدلة الروائية

ذُكرت في بعض الروايات أيضاً خصائص للقرآن تتطابق مع حجية ظاهره.

الأولى، حديث الثقلين^٤: بناءً على هذا الحديث، فإنه ينبغي للناس التمسك بـ«الثقلين»

١. البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦١.

٢. سورة محمد، الآية ٩، الآية ٢٤.

٣. سورة القمر، الآية ١٧.

٤. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٦. «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِزَّتِي أَهْلِبْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَعُونِي فِيهِمَا»

اللذين هما كتاب الله وعترة الرسول ﷺ، وأن يستعينوا بهما في جميع الأعمال والمشاكل. معنى التمسك ومراجعة عامّة الناس للقرآن هو أخذ الأحكام التي تُستخلص من ظاهره، ولو لم يكن ظاهر القرآن حجّة، لكان أمر الرسول ﷺ بمراجعته والتمسك به وتسميته لهما بـ«الثقلين» عبثاً.

الثانية، أحاديث العرض على القرآن^١: إنّ الروايات الكثيرة المتواترة التي اعتبرت القرآن معياراً لمعرفة الأحاديث، تشكّل دليلاً آخر على حجّية ظاهر القرآن؛ إذ إنّه لو كان الكلام معقّداً وغير مفهوم مع ظاهر غير معتبر، لما تأهل ليكون ميزاناً وأداةً للتقييم. لذلك فالأمر بعرض الروايات على ظاهر القرآن، يُظهر أنّ الشئ الذي ليس ظاهره حجّةً، لا يمكن أن يكون معياراً لتقييم اعتبار الأحاديث.

الثالثة، و الدليل الآخر على حجّية ظاهر القرآن هو الاستشهادات بظاهرة و التي كان الأئمة ﷺ اعتمدوها للحصول على الأحكام الإلهية:

الاستشهاد الأوّل. قال الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله زرارة: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ وَقُلْتَ أَنَّ الْمَسْحَ بِبَعْضِ الرَّأْسِ وَبَعْضِ الرَّجْلَيْنِ؟ فقال الإمام عليه السلام في جوابه: «لِمَكَانِ الْبَاءِ» التي استخدمت في آية الوضوء. ومن ظاهرها يُستفاد أنّ مسح جزءٍ من الرأس كافٍ، وليس كله^٢.

الاستشهاد الثاني. قال الإمام الصادق عليه السلام حول المرأة التي طلقت ثلاثاً، لا تحلّ لزوجها الأوّل بالزواج المؤقت والمتعة مع رجل آخر، لأنّ الله يقول: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾^٣ فإذا طلقها زوجها الثاني، فلا إثم عليه إن رجعت (و تتزوج زوجها الأوّل ثانية).

بناءً على ظاهر هذه الآية، فإنّ حلّية المرأة المطلّقة ثلاث طلاقات لزوجها الأوّل مرتبطة

١. الكافي، ج ١، ص ٦٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٨٩؛ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤١٣، الباب ٢٣، ح ١٠٧٣.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٣٠.

بزواج المرأة من رجل آخر ثم انفصالها عنه؛ لذلك ولأنه لا يوجد طلاق في المتعة؛ فإن شرط الزواج بالزوج الأول لا يتوقّر ألا وهو الطلاق.^١

الثالث. سيرة العقلاء

إنّ العقلاء في حواراتهم يعتبرون ظاهر كلامهم معياراً؛ لأنه إذا نطق عاقل بكلام على نفسه، فإنّ مثل هذا الاعتراف - بناءً على حجّية ظاهر الكلام - سيكون نافذاً، وسيكون الحكم ضدّه.

بالتالي، فإنّه في سيرة جميع العقلاء أنّ أيّ متكلم يتفوّه بكلام، فإنّ ظاهر كلامه حجّة للمخاطبين، خاصة إذا كان المتكلم هو الشارع المقدّس ورئيسهم، ولم يبلغنا عنه أيّ اعتراض على هذه السيرة.

نطاق ظاهر القرآن

أخصّ الظهور وحجّية الظهور محكمات القرآن أم أنّ الآيات المتشابهة أيضاً لها حجّية الظهور؟!

الرأي المشهور

في البداية نتناول الرأي المعروف في هذا الأمر، ثمّ نشير بناءً على الرأي المختار إلى نقده و تكميله. الدلالة الظاهرية لألفاظ القرآن كثيرة، ويقوم تفسير المفسّرين في معظم الحالات على ظاهر آيات القرآن. ظاهر الآيات يرتبط أحياناً بمعنى الكلمة أو العبارة وسياق الجملة في الآية، وأحياناً يرتبط بالأحكام التكليفية المستفادة من الآيات؛ لكن بما أنّ القرآن ينطوي على آيات محكمة ومتشابهة، فإنّ نطاق ظهور الآيات خاصّ بالآيات المحكمة؛ لأنّ ظاهر الآيات المتشابهة لن يكون حجّةً ويحتاج إلى التأويل، عندما نمتلك دليلاً قطعياً على إرادة خلاف

١. المظفر، محمدرضا، التهذيب، ج ٨، ص ٣٤، الباب ٣٦، ح ٢٢.

٢. أصول الفقه، ج ١، ص ١٥٦.

ظاهرها؛ من هنا يتضح معناها بالآيات المحكمة.^١ إنّ المحكم والمتشابه نسيبان أيضاً، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الْمُتَشَابِهُ مَا اشْتَبَهَ عَلَى جَاهِلِهِ»^٢ إنّ جميع الآيات المحكمة وظاهرها حجة للراسخين في العلم أيضاً.

الجدير بالذكر أنه يُشترط في حجّية الظهور الفحص الكامل عن كلّ شيء يصلح لانصراف ظهور عبارات القرآن عنه مثل: الآيات الناسخة والمخصّصة والمقيّدة. كذلك بعد الفحص عن القرائن المنفصلة يمكن العمل بالعمومات والمطلقات على أساس قاعدة «أصالة الظهور».^٣ يُذكر أنّ ظاهر القرآن وباطنه في طول بعضهما، وليسا في العرض، ولا ينتفي الظاهر بالإيمان بباطن القرآن.

كتب العلامة الطباطبائي:

هذا للقرآن ظاهر وباطن أو ظهر وبطن، وكلا المعنيين يُرادان من الآيات الكريمة، إلا أنّهما واقعان في الطول لا في العرض، فإنّ إرادة الظاهر لا تنفي إرادة الباطن، وإرادة الباطن لا تراحم إرادة الظاهر.^٤

للظاهر والباطن مراتب؛ لذلك جاء في بعض الروايات: «إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنَ، وَوَلِبَطْنٍ بَطْنَ، وَوَلَهُ ظَهْرٌ، وَوَلِلظَّهْرِ ظَهْرٌ»؛ إذ إنّ فهم القرآن له مستويات أيضاً. كما أنّ بلوغ تلك المستويات ليس عامّاً، فالمخاطبون يدركون مستوى واحداً أو عدّة مستويات من مستويات الظاهر أو الباطن على قدر استطاعتهم، كما أنّ البعض يبلغون مستويات أعلى. على أنّ الظهور الأوّل للآيات مفهوم لجميع الذين لديهم إلمام باللغة العربية.

١. القرآن في الإسلام، ص ٣٦.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٢.

٣. الأصول العامة للفقه المقارن، ص ٩٧.

٤. القرآن في الإسلام، ص ٢٨.

٥. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩١.



من جهة، يُحتمل خلاف مراد المتكلم، في ظاهر بعض آيات القرآن؛ لذلك فإن هذه الآيات قابلة للتأويل، ويمكن إيجاد معانٍ أخرى للآية بالتأويل أيضاً. بالطبع جميع تلك المعاني في طول بعضها، لكن لنعلم أنّ تلقّي الظهور الحقيقيّ لهذه الآيات وكذلك تأويلها، ليس في مقدور كلّ شخص؛ بل إنّه في قدرة أخصائيّ علم التفسير.^١ عند تعارض العقل مع ظاهر القرآن أيضاً، فإنّ متكلمي المعتزلة والشيعة يعتبرون العقل مقدّمًا، على الرغم من أنّهم يؤمنون بحجّية ظاهر القرآن.

الرأي المشهور؛ دراسة ونقد

الرأي المشهور غير مقبول لعدّة أسباب؛ حيث قيل إنّ نطاق ظاهر القرآن ينحصر في محكمات القرآن، ولا يشمل المتشابهات. الأوّل أنّ الظواهر المتشابهة مجمّلة، لا مبهمة. الثاني أنّ مقام الفهم و العمل مختلفان عن بعضهما البعض. من حيث الجهة الدلالية (مقام الفهم و الظهور) يمكن اعتبار الظاهر مستقلاً؛ وإن كان في الحجّية التنجيزيّة (مقام العمل) حاجةً إلى الفحص عن السُنّة أيضاً. الثالث أنّه في الآية الشريفة من سورة آل عمران^٢ ليس النهي عن فهم المتشابه، بل النهي عن اتّباع ذلك.

لقد نهى القرآن الكريم عن تأويل المتشابهات واتباعها، لا يعني بذلك أنّ الآيات المتشابهة مكتنفة بالإهام وغير قابلة للفهم. إذاً الآيات المتشابهة مثل المحكمات في الظهور، وللقرآن كلّ ظهور، ولا إهام فيه، كما يقول الإمام الباقر^٣: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْكِتَابَ مُبْهَمٌ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ^٣.
بعبارة أخرى يمكن تقسيم الآيات المتشابهة إلى قسمين:

١. قسم من الآيات المتشابهة لها إجمال مفهوميّ، وذلك الإجمال يسبب احتمالات متعددة في

١. أصول الفقه، ج ١، ص ١٥٦.

٢. سورة آل عمران، الآية ٧: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾.

٣. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩.

تفاصيلها، مثل: كلمة أولي الأمر في الآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^١ حيث يمكن أن يتصور بسبب إجمالها أنّها قابلة للتطبيق على مصاديق متعدّدة ومترافقة باستنتاجات غير صحيحة.

٢. قسم آخر من الآيات المتشابهة، لا يوافق ظهورها الأوّلي مع بعض الأصول العقليّة والشرعيّة مثل: الآية الشريفة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^٢ حيث يُستنتج من ظاهرها جسمانيّة الله، ولكن إذا شاهدنا جميع قرائن الآية والاستعمالات القرآنيّة، فإنّ ظهورها لا يتعارض مع أصول المذهب.

إنّ ظاهر مثل هذه الآيات لكونها آيات متشابهة ومتعارضة، يحتاج لفهم أدقّ إلى القرينة، كي يُستفاد منه في مرحلة العمل. لكنّ هذا التعارض الظاهري لا يعني أبداً عدم حجّيتها في مطلق الظهور. لمثل هذه الآيات ظهور في الدلالة على المعنى الكلّي، ودلالاتها حجّة؛ و كما أنّ للآية المذكورة حجّية دلاليّة على أنّ الله على العرش استوى، ولكن كيفية ذلك الاستواء مجمّلة؛ وعليه فمن الضروريّ قياس الظهور الابتدائيّ للآية (الاستواء على العرش) مع ظهور سياقها السابق والتالي؛ إذاً يحتاج فهمها الأعمق إلى دراسة الآيات الأخرى التي تتناول هذا الموضوع، والجمع بينها. كما أنّ ظاهر كلام كلّ متكلم على هذا الشكل، وله ظهور سياقيّ، لكنّ العمق والفهم النهائيّ لكلامه يرتبط بالتدقيق في بقية كلامه؛ هذا نفس الكلام الذي أتى التصريح به في الأحاديث أيضاً، فالآيات المتشابهة تصبح مُحكّمة بردها إلى المحكّمة، يقول الإمام الرضا عليه السلام: «مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُحْكَمًا كُمُحْكَمِ الْقُرْآنِ وَمُتَشَابِهًا كُمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَرُدُّوهُ مُتَشَابِهًا إِلَى مُحْكَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوا».

١. سورة النساء، الآية ٥٩.

٢. سورة طه، الآية ٥.



وبالتالي فإن الآيات التي يُحتمل وجود التشابه فيها ليس في معناها الكلّي تشابه، ومعناها الدقيق أيضاً، فإذا كان فيها تشابه، فإنه يتضح بالتدقيق في سياق الكلام أو سياق السورة أو سياق جميع القرآن الكريم. لذلك فإن نطاق ظاهر القرآن يشمل المتشابهات أيضاً. كما أنّ علماء الدين لم يشيروا إلى آية ليس لها ظهور، إلا فيما يخصّ الحروف المقطّعة. هذا الأمر يكشف أنّ المتشابهات لها ظهور أيضاً، لكنّ ظهورها يجب أن يحلّل بدقة أكثر.

من جهة أخرى، فإنّ المحكم والمتشابه ليسا منفصلين عن الظاهر والباطن، وجميع آيات القرآن المتشابهة والمحمّكة لها ظهور، إلا أنّ ظهورها يُؤخذ بنظر الاعتبار ويُراعى إلى أن يُفحص عنه، وتكتسب الحجّية بالفحص واليأس. والمراد بالمراعاة أيضاً أنّ فهمها الأوّل في غنى عن الفحص، وهو حجّة، ويمكن الاكتفاء بالنظرة السياقية للآية، ولكن حجّيتها العملية والتنجزية تأتي بعد الفحص و اليأس عن القرينة.

الجدير بالذكر أنّ شرط الفحص واليأس في العمل بالظاهر يخصّ البعيدين عن عصر الشارع؛ لأنّ اختلاف الزمان والمكان، واختفاء القرائن اللفظية والمقامية للحجّية العملية والتنجزية في كلام الشارع مشروطة بالفحص، وإن كان لها حجّية دلالية (الظواهر اللفظية)؛ إلا أنّ الذين كانوا في محضر الشارع، لم يكونوا بحاجة إلى الفحص، وكانوا يعملون بظاهر كلام الشارع، تماماً كما كان مصداق آية الولاية واضحاً للحاضرين، ولم يكن فيها أيّ إجمال.

المراد الجدّي والمراد الاستعماليّ

المراد الجدّي منفصل عن المراد الاستعماليّ. ففي المراد الجدّي يبيّن المتكلم هدفه الأساس والرئيس للمخاطب. بالطبع يمكن أن يكون هذا المراد نفس المراد الاستعماليّ أو غير ذلك. إنّ إرادة المتكلم باستحضار الألفاظ في كلامه تُقسّم إلى الإرادة الاستعمالية والجدّية. إنّ الإرادة الاستعمالية هي الإتيان بالألفاظ بغية التعبير عن معناها الموضوع لها الذي يرتسم بمجرد سماع اللفظ، في ذهن المخاطب العالم بالوضع. والمعياريّ في تعيين الحقيقة والمجاز هو هذا المراد نفسه.

إنّ مدلول الألفاظ الاستعماليّ جميعه أو بعضه أيضاً هو المراد الجدّي للمتكلّم في الإرادة الجدّيّة؛ من جهة فإنّ المعيار في الحجّيّة وعدم الحجّيّة أيضاً هو المراد الجدّي. عندما يقول المتكلّم: «أكرّم كلّ عالمٍ» فإنّ إكرام جميع العلماء واجب، وإرادة المتكلّم الاستعماليّة تتعلّق بذلك، كما أنّ هذا الأمر يرتسم في ذهن المخاطب؛ إذا لم يذكر المتكلّم قيّداً في كلامه، فإنّ المخاطب يفهم أنّ إرادة المتكلّم الجدّيّة أيضاً تتعلّق بإكرام جميع العلماء؛ لأنّ الأصل العقلائيّ يدلّ على تطابق الإرادة الجدّيّة والإرادة الاستعماليّة، ولكن إذا قال المتكلّم بعد الأمر الأوّل: «لا تُكرّم زيدا العالم» فإنّ المخاطب يجد أنّه وإنّ كان مراد المتكلّم الإستعماليّ إكرام جميع العلماء - وزيد عالم أيضاً- لكنّ مراده الجدّي لم يكن ذلك، وإنّه لم يكن يريد إكرام زيد إرادة جادّة؛ لأنّ هذا الطلب يُستنبط من كلامه الثاني.

الجدير بالذكر أنّه في الأوامر الامتحانيّة يمكن فصل هاتين الإرادتين عن بعضهما؛ مثلما كان في أمر الله لسيدنا إبراهيم ﷺ بذبح إسماعيل ﷺ؛ حيث كانت الإرادة الاستعماليّة هي الذبح، ولكنّ المراد الجدّي امتحان سيدنا إبراهيم ﷺ.

٥. نصّ القرآن الكريم

المقصود بنصّ القرآن في هذا البحث هو آيات القرآن. إنّ هذا المصطلح يشمل آية واحدة وسيافاً واحداً أو سورة وأكثر منها، وفي الحقيقة نظراً لاتّساع معنى النصّ، فقد وقع الاختيار على هذه الكلمة؛ لأنّه يمكن إطلاق النصّ على السورة وعلى أكبر منها (في التدبّر بين السُور)، وعلى قسم من السورة أيضاً.

٦. أسس تفهّم النصّ وقواعده:

لطريقة تفهّم النصّ أسس وقواعد تحكّم أسلوب التدبّر. أهمّ أسس تفهّم النصّ وقواعد عبارة عن:

الأوّل. نظرة بسيطة وخالصة للقرآن

المتدبّر يسعى في التدبّر إلى التلقّي فقط، لأنّ أصل التفهيم تحقّق بالقرآن، ويجب عليه أن



يُقْبَلُ على محضر آيات الله دون أيّ تعصّبٍ أو حكمٍ مُسَبِّقٍ وأن يتلقّى تفهيم القرآن بذهن صافٍ ومستعدّ. يجب أن لا يسعى المتدبر للاستنتاج من القرآن، وأن يحسب القرآن نصّاً صامتاً يجب عليه هو أن يستنطقه ويستخرج منه مواضيع؛ بل عليه أن يتوجّه نحو الآيات بنظرة خالصة دون أيّ حكمٍ مُسَبِّقٍ، وأن يجلس في محضرها، ويستمع وفق قواعد خاصّة سنذكرها لاحقاً، إلى تفهيم القرآن ليلبغ مبلغ التفهيم.

الجدير بالذكر أنّ التدبر في القرآن يجب أن يرافقه نظرة بسيطة وقابلة للفهم لدى عامّة الناس، لأنّه إنّما تتعامل في التدبر مع ظاهر القرآن، وظاهر القرآن واضح أيضاً، ولا يحتاج إلى استخدام قواعد تفسيرية مختلفة ومواضيع عقلية معقّدة؛ وبهذا فإنّ التدبر في القرآن يُدرّك بنظرة بسيطة وخالصة في آيات القرآن.

الثاني: الدلالة، وليس التقفية

في طائفة من الآيات القرآنية ولا سيّما أواخرها، أُسْتُخْدِمَتْ كلمات متماثلة جميعها وزناً و قافيةً. مثل سورة «القمر»، «الأحزاب» و... يرى مجموعة - وخاصة العلماء الذين يعتبرون معظم جوانب إعجاز القرآن في نظمه وجماله الظاهريّ وألفاظه - أنّ الداعي إلى استخدام هذه الكلمات الموزونة هو رعاية القافية في الكلام، لكنّ هذا الرأي غير قابل للتصديق؛ لأنّه على الرغم من أنّ القرآن يمتلك إعجازاً ظاهريّاً، وجمالاً في استخدام الألفاظ والعبارات الموزونة، إلا أنّ الأمر ليس حكراً في أنّ استخدام هذه الكلمات الخاصّة مع القافية الموزونة أتى لوضع قافية (للتقفية)؛ بل إنّ لاستخدام تلك الكلمات أيضاً معنى. وبهذا فقد اهتمّ الله الحكيم في الخطوة الأولى بالمعنى الخاصّ لكلّ واحدة من تلك الكلمات، والخطوة التالية تمثّلت بمراعاة القافية، وعليه فإنّ الأصل هو امتلاك كلّ لفظ وكلمة معنى، وليس مراعاة القافية.

الثالث. عدم الترادف في القرآن

لقد اعتبر جماعة من الأعظم خاصّة مترجمي القرآن، ألفاظاً كثيرة من المفردات القرآنية ذات معنى واحد، وأسماها المترادفات، كما هو الحال في المفردات التالية: «خَلَقَ»، «فَطَرَ»، «بَرَأَ»،

«ذَرَأَ»، «بَدَعَ» و... يرونها جميعها بمعنى «خَلَقَ»؛ لكنّ الصحيح هو أنّ الترادف الحقيقيّ - إذا كان يعني اتحاد المفردتين في المعنى من جميع الجهات والجوانب - ليس في القرآن فحسب، بل لا يوجد في كلام العرب أيضاً، وجميع تلك الألفاظ المترادفة في الظاهر، تحمل كلّ واحدة منها سمات وميّزات تنفصل بها عن الألفاظ الأخرى.

كذلك تستدعي حكمة الله استخدام كلّ مفردة ومادّة في موضع خاصّ؛ لأنه لا يصدر عن الله تعبيران متماثلان دون أن يطلع من كلّ منهما معنى جديد؛ لذلك فإنّ الألفاظ التي تبدو مترادفة في القرآن الكريم، لكلّ منها خصوصيّات تسلبها الترادف؛ من هنا لا يمكن استخدام كلّ واحدة من المفردات المترادفة بدل الأخرى. بعبارة أخرى، إنّ بناء القرآن مثل نظام التكوين بحيث أنّ كلّ جزء في البنية الجميلة والعميقة والأساسيّة قد أُسْتُخِدِمَ وفق حساب دقيق وحكمة عميقة، وكلّ كلمة لها ميزتها الخاصّة.

الرابع. استخدام الحروف في معناها الأصليّ

إنّ لحروف الجرّ استعمالات كثيرة في القرآن. وقد ذُكِرَتْ في الأدب العربيّ أيضاً معانٍ أصليّة وأخرى فرعيّة (بجارية) لكلّ حرفٍ من هذه الحروف، لكنّ المفسّرين في كثير من الاستعمالات القرآنيّة، يرون أنّ حروف الجرّ تتضمّن معنى غير معناها الأصليّ؛ على سبيل المثال في الموقف الذي تتوافق فيه حرف الجرّ بفعلٍ يأتي عادةً مع حرف جرٍّ آخرى؛ وكذلك يعدلون بحرف الجرّ عن معناها الأصليّ في حالات يحسن - من منظورهم - معنى غير المعنى الأصليّ لتلك الحرف.

الحقيقة هي أنّ استخدام كلّ كلمة أو حرف في القرآن قائم على الحكمة والترتيب الإلهيين، ولا يمكن صرف حرفٍ عن معناها الأصليّ، وأن نعتبرها تتضمّن معنى حرفٍ آخرى. وبالتالي تُسْتخْدَم الحروف في معناها الأصليّ.

الخامس. أصالة الحقيقة

جرى في علم أصول الفقه البحث بالتفصيل حول «أصالة الحقيقة» كما تمّ تبين الأدلّة



على إثبات ذلك، لهذا السبب سنتناول في هذا البحث فقط، معنى هذا الأصل وموارد تطبيقه: هذا الأصل يُطبَّق في حالات أورد فيها المتكلم لفظاً، ونشكَّ إن كان قد أراد المعنى الحقيقي لذلك اللفظ أم معناه المجازي ولم يُعتر على قرينة دالة على المعنى المجازي أيضاً، وإن كان ذلك محتملاً، في مثل هذه الحالات يقال إنَّ الأصل يقوم على حمل الكلام على معناه الحقيقي، وهذا المعنى الحقيقي هو الذي حجّة للمتكلّم على المخاطب، وحجّة للمخاطب على المتكلّم أيضاً؛ ومن هنا إذا عارضَ المخاطب المعنى الحقيقي لذلك الكلام، فلا يمكن أن يأتي بعذر للمتكلّم بأنني احتملتُ أنك قد أردتَ المعنى المجازي؛ كذلك لا يستطيع المتكلّم أن يقول للسامع أنني قد أردتُ المعنى المجازي، وكان عليك أن تعمل وفق ذلك.

هذا الأصل يحظى بقبول علماء الأصول، كما بيّن المرحوم الشيخ الأنصاري:

وأما العلماء، فلا خلاف بينهم في الرجوع إلى أصالة الحقيقة في الألفاظ المجردة عن القرائن الموجهة من متكلّم إلى مخاطب.^١

النتيجة هي أنّ هذا الأصل يجري على الألفاظ والجمل أيضاً، وما لم توجد قرينة قطعية على إرادة المجاز، فلا يمكن مجرد الاحتمال حمل لفظ من ألفاظ القرآن على المعنى المجازي، بل ينبغي دائماً حمل ألفاظ القرآن على معناها الحقيقي، إلا إذا كانت هناك قرينة قطعية على المعنى المجازي.

السادس. التأسيس أولى من التأكيد

لبعض آيات القرآن جانبان: من جهة هي تأكيد لآية مشابهة سابقة، ومن جهة أخرى يمكن أن ننظر إلى تلك الآية نظرةً مستقلةً ونستخلص معنىً جديداً. هنا يتبادر هذا السؤال: هل يجب اعتبار هذه الآية بقرينة الآية المشابهة السابقة تأكيداً، أم اعتبارها آيةً مستقلةً مما يتمخض عن حصول معنىً جديدٍ؟ يمكن العثور على الإجابة عن هذا السؤال بقاعدة

١. فرائد الأصول، ج ١، ص ٦٩.

«التأسيس أولى من التأكيد». هذه القاعدة الأصولية تشير إلى أنه يجب جَهْد الإمكان اعتبار الكلمة أو الجملة مستقلة، وأنه يجب حملها على معنى جديد، كما كان المتكلم أيضاً في مقام بيان نفس هذا المعنى. الجدير بالذكر أن تقدم المعاني التأسيسية على المعاني التأكيدية، يصدق حيث يتطابق المعنى الجديد والمستقل مع ظاهر الكلمة أو الجملة، وفيما عدا ذلك، إذا كان أحد هذين المعنيين مطابقاً لظاهر الكلمة أو الجملة، فإنه مقدّم.

يُذكر أنّ هذه القاعدة تُستخدَم في الحروف أيضاً؛ فمادامت حرف واحدة يمكنها أن تحمل معنى جديداً، فإنّ الزيادة أو التأكيد غير جائزين.

السابع. ضرورة متابعة السياق

إحدى القواعد الهامة في التدبر هي الاهتمام بالسياق ومتابعته. لا ينبغي في التدبر، دراسة كلّ آية دراسةً مستقلةً، بل يجب مشاهدة كلّ آية عقب سياقاتها القرآنية، وتحليلها بالنظر إلى ما قبلها وبعدها.

إنّ كثيراً من الإشكالات والاختلافات التي تظهر في معاني آيات القرآن ومفاهيمها، يعود إلى إهمال سياق الآيات والنظرة الاستقلالية للآية. إنّ السبيل لحسم النزاعات على معاني الآيات ومفاهيمها هو الاهتمام بسياق الآيات للحصول على معنى واحد.

الثامن. القراءة المتكررة

إنّ القراءة المتكررة للسورة مصحوبةً بالاهتمام بمواضيع السورة ووجهتها، ووجوه الارتباط والتنسيق بين الآيات، مثل التكرار اللفظي، المضموني، والأسلوبي، وبدايات الآيات ونهاياتها و... لها [للقراءة المتكررة] دور كبير في مسار التدبر.

يقول سماحة قائد الثورة المعظم:

إنّ التدبر في القرآن لا يحصل بالقراءة والمرور؛ كذلك لا يحصل بالقراءة مرّة واحدة ومرتين؛



بل يحصل من خلال التكرار والأنس بآية من القرآن وإمكانية التدبر فيها.^١

خطوات التدبر في القرآن

للتدبر في القرآن (تفهم النص) ثلاث خطوات، في الخطوة الأولى نتعرف ضمن قراءة السورة، على معاني المفردات والجمل المشكلة في الآيات والعبارات، وفي الخطوة الثانية نضع من خلال قراءة السورة، بناء الآيات والسور موضع التفهم، وفي الخطوة الثالثة نتعرف ضمن قراءة السورة، على الوجهة الإرشادية في الآيات والسور.

الخطوة الأولى: تفهم النص بأسلوب فهم معاني المفردات والجمل الصعبة للآيات و

السور

في أول خطوة للتدبر في القرآن، نبدأ بقراءة القرآن، ثم نجعل الكلمات والعبارات القرآنية الصعبة في دائرة الاهتمام، ونتعرف على معناها. إن فهم الآيات النفسي مقدم على الفهم السياقي؛ لأنه ما لم يدرك معنى كل كلمة وجملة وآية بوحدها، فإنه لن يمكن إدراك ما بينها وبين الآيات السابقة والتالية لها، من انقطاع و اتصال.

عندما نفهم الآيات فهماً نفسياً، فإننا نواجه ثلاثة أصناف من المفردات:

الصنف الأول، بعض مفردات القرآن الكريم سهل الفهم والاستيعاب، لأنها تحمل معنى مشهوراً أو أنها تُستخدم في اللغة. الصنف الثاني، بعض مفردات القرآن الكريم لا يمكن فهمها لوحدها بل تحتاج إلى السياق. وأخيراً هناك يأتي الصنف الثالث من المفردات وهو الذي لا يمكن فهمه بالسياق أيضاً، ومن أجل فهم هذا الصنف من المفردات يجب اعتماد معاجم لغوية ذات المنحى القرآني.^٢

١. كلمة سماحة قائد الثورة في لقاء القراء المشاركين في الدورة ٢٣ للمسابقات الدولية للقرآن ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٦.
٢. ترجمه قرآن (ترجمة القرآن) للأستاذ بهرام بور، فوهنگ قاموس قرآن (معجم قاموس القرآن)، تأليف آية الله قرشي،

الخطوة الثانية: تفهّم النصّ بأسلوب فهم بناء الآيات والسُور أولاً. مبادئ استكشاف البناء:

البناء لكلّ سورة قرآنيّة، بناء منظم وإلهي. والمقصود بالبناء في هذا البحث، هو النظم الداخليّ الإلهي لترتيب آيات سورة واحدة. وقد ثبتت - فيما مضى - إلهية ترتيب آيات القرآن وجمعه في عهد النبي ﷺ، وبالتالي يسعى المتدبر لاستكشاف البناء والترتيب الإلهي، وليس إيجاد ذلك؛ ولاستكشاف بناء الآيات لسورة ما - الذي يمثل أول خطوة للتدبر - هناك قواعد وقرائن ستأتي بالتفصيل في قسم «أسلوب استكشاف البناء».

السياق

«سياق» من مادة «سوق» وهو في اللغة يعني الدفع والتسيير وكذلك سوق الدواب من وراء.^١ والذي يمسك بزمام القافلة من خلفها، ويقودها إلى الأمام يقال له في اللغة العربيّة «السائق».

كتب الشهيد الصدر في التعريف الاصطلاحيّ للسياق:

ونريد بـ «السياق» كلّ ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوالّ أخرى، سواء كانت لفظيّة كالكلمات التي تشكّل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلامًا واحدًا مترابطًا، أو حالية كالظروف والملايسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع.^٢

يبدو أنّ هذا التعريف يحظى بنطاق واسع، ويضمّ حالات أبعد عن القرائن اللفظيّة المتّصلة؛ لذلك فمن الأفضل أن نقول: السياق هو نوع ترتيب الكلمات في جملة ما، وارتباطها بالجمل السابقة واللاحقة والمضمون الكلّي المستخرج منها؛ بحيث يحمل أحيانًا مضافًا إلى معنى كلّ واحدة من الكلمات ومن ثمّ معنى الجملة، معنى آخر أيضًا للجملة. الجدير بالذكر أنّ فهم

أموزش ترجمه ومفاهيم قرآن (تعليم ترجمة القرآن ومفاهيمه)، تأليف سيدهادي محدث، حميد صفار هرندي، و أبوالفضل علامي.

١. الجوهري، صحاح اللغة، ج ٤، ص ١٤٩٩؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١١٧.

٢. الصدر، سيدهمّداق، دروس في علم الأصول، الحلقة الأولى، ص ١٠٣ - ١٠٤.



كلمات نصّ وعباراته، يستدعي أحياناً القرينة، وأنّ تجاهلها والتغاضي عنها يمسّ تناسق معاني الكلمات والجمل، وتناسبها.

ثانياً. مبادئ استكشاف البناء:

وجود نظم هادف، وبناء في السُّور

بعد أن ثبت أنّ جمع القرآن قد تمّ على يد الرسول ﷺ، وأنّ ترتيبه وحياتيّ، يتبادر السؤال التالي: أيوجد علاقة وتناسب ونظم هادف بين الآيات التي وُضِعَتْ متجاورةً مع بعضها في سورة واحدة؟ بعبارة أخرى، أ لترتيب الآيات في السُّور معيار أم أنّها وُضِعَتْ بدون أيّ معيارٍ داخل سورة واحدة إلى جانب بعضها؟ إنّ الإجابة على هذا السؤال ذات أهمية بالغة؛ إذ يمكن أن يقال على الرغم من أنّ ترتيب سُور القرآن وحياتيّ، لكن ليس من الضرورة وجود علاقة ونظم وحياتيّ بين الآيات، وأنّ واقعية آيات القرآن هي السبب في تجاورها مع بعضها؛ مثل الأب الذي ينصح ابنه من الصباح حتى المساء، ولا يوجد أيّ نظمٍ في مواعظه؛ لأنّ المواعظ تابعة لأعمال ابنه. كذلك آيات القرآن تتبع الأحداث والوقائع أيضاً، وعليه فليس لها نظم هادف؛ بل انتظمت على حسب الأحداث، ولكن كما سنشير تباعاً، فإنّ هذا الادّعاء لا يمكن أن يكون صحيحاً، لأنّ جمع القرآن وترتيب آياته لم يجريا وفق ترتيب النزول، والرسول ﷺ لم يتخذ ترتيب النزول أو ترتيب وقوع الأحداث معياراً لجمع القرآن.

الجدير بالذكر أنّ بعض المفسرين لم يقبلوا الترتيب والنظم التوقيفيّ للآيات في السُّور، لكنهم يؤمنون بالنظم البنائيّ لسُّور القرآن، وعليه فإنّ قبول نظم البناء لا علاقة له بالبحث السابق؛ وإنّ جميع من قبلوا بوحياية النظم، يعتقدون النظرة البنائية للسُّور أيضاً.

إنّ مؤيدي النظم الهادف ووجود البناء في سُور القرآن الكريم، استندوا إلى روايات وأدلة

عقلية:

الأدلة القرآنية

أ. رسم حدود الآيات باسم سورة

في آيات كثيرة مرّت الإشارة إلى رسم الحدود بين الآيات؛ كما يقول: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^١ وكذلك يقول: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ أَنْعَامٍ بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَعْمَنْ مَعَ الْقَعْدِينَ﴾^٢، أو يقول: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٣.

سبق القول إنّ بناء سُور القرآن الكريم وترتيب آياته توقيفيّان، ومن جهة أخرى فإنّ لكلّ سورة حيثيّة مستقلة؛ لذلك، يجب في هذا الترسيم التوقيفيّ أن يكون هناك ارتباط منطقيّ بين جميع آيات السورة الواحدة؛ فإنّه لن يكون لوضع آية ما داخل سورة ما دليل غير هذا. إذا لم تقبل بوجود النظم والانسجام والبناء في آيات سورة واحدة، فإنّنا نكون قد أقررنا أنّ سُور القرآن الكريم غير منظمّة ولا تمتلك ترتيباً منطقيّاً وعقلائيّاً، بل إنّ ترتيبها عشوائيّ. من جهة أخرى، لانعدام النظم هذا تأثير كبير في كلام الله، ويعقبه تعقّد المفاهيم، الأمر الذي لا ينسجم مع كونه «تبياناً» و «بياناً».

ب. التحديّ بالسورة، وليس بالآيات

أحد الأدلّة الساطعة التي تدلّ على أنّ لآيات السُور نظماً وبناءً منسجماً هو آيات التحديّ. جاء التحديّ في القرآن الكريم بالسُور، وإنّ كانت السورة قصيرة، إلاّ أنّه لم يأت التحديّ بعدة آيات. لأنّ بعض فنون البلاغة يعود إلى مجموع نظم الكلام وبنائه؛ حيث يتمّ

١. سورة النور، الآية ١.

٢. سورة التوبة، الآية ٨٦.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٣.

٤. ستتمّ دراسة هذا الادّعاء في أسس استكشاف الجهة.

إنشاء غرض البداية و أسس الكلام على أساس ذلك؛ من جهة أخرى أيضًا فإنّ الانتقال من غرض إلى آخر، والعودة إلى الغرض الأساس لإيجاد الفواصل والإيجاز والإطناب والاستطراد والاعتراض، جميع ذلك مرتبط بنظم الكلام وبنائه. ونقلًا عن ابن عاشور، فقد اعتبر شرف الدين الطيبي أنّ سبب وقوع التحديّ بالسورة هو هذه الأمور.^١

إذا كانت السورة مجرّد عدّة آيات، من دون أيّ نظم وبناء هادف، ولم تكن لها هوية سوى هوية اجتماع عدّة آيات، فكما يجوز التحديّ بالسورة، كذلك يجوز التحديّ بمجموعة من الآيات، لكن في لم يرد التحديّ في أيّ موضع من القرآن، بآية أو آيات؛ لذلك فمن الواضح أنّ للسورة هويّة منفصلة عن هويّة الآيات، وأنّ ترتيب الآيات في السورة والبناء الهادف فيها يمنحان السورة هويّة جديدة؛ بحيث إنّ البشر لا يقدرّون على منافستها.

ومن الواضح أنّه عندما يكون الإتيان بآية ممكنًا للبشر، لكنهم عاجزون عن الإتيان بسورة، فهذا معناه أنّ هناك اختلافًا بين السورة ومجموع الآيات؛ إذًا يجب أن يكون الاختلاف بين ترتيب الآيات ونظمها الهادف، وإنّ تكوين مثل هذا البناء المنظم والرائع، وتقييم جميع الآثار المترتبة عليه خارجان عن قدرة البشر.

كتب الفخر الرازيّ:

ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك.^٢

الأدلة الروائية

أ. تلاحظ في الأحاديث أيضًا أدلّة وشواهد تؤكّد النظم الهادف و وجود البناء في سور القرآن؛

١. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٠٢.

٢. نقلًا عن: الموافقات، الشاطبيّ، إبراهيم بن موسى. [التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٣٨]

مثل النهي عن تجزئة الآيات، وفصلها عن أجواء السورة، وهذا دليل على النظم في ترتيب الآية. إذاً من الضروري أن لا تُفصل كل آية من مكائنها في السورة، ويتم تفسيرها وتحليلها في الأجواء ذاتها. على سبيل المثال فيما يتعلق بالآية الشريفة: ﴿ هَذَا كِتَابٌ يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾^١ يقول الإمام عليّ عليه السلام: ﴿ وَيُنطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَتَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴾^٢.

وبالتالي فإنّ النظرة المنفصلة إلى الآيات تمنع فهمها الصحيح؛ ومن هنا فيلزم من أجل فهم كل آية، النظر إلى الآيات المجاورة لها أيضاً وإدراك النظم السائد في ترتيب الآيات، كما يوصي الإمام عليه السلام أصحابه ألا يقرأوا آيات القرآن قراءة متناثرة: ﴿ لَا تَنْشُرُهُ نَشْرَ الرَّهْلِ ﴾^٣؛ وعلى هذا الأساس يتضح أنّ كل سورة وآياتها تمتلك بناءً منظماً يجب الاهتمام به من أجل فهم الآيات فهماً صحيحاً وكاملاً، لهذا فقد نهى الإمام عليه السلام عن قراءة الآيات قراءة متناثرة مبعة.

ب. يقول الإمام الصادق عليه السلام حول السبب في عدم الانتفاع بآيات القرآن: ﴿وذلك أنّهم ضربوا بعض القرآن ببعض﴾^٤ فالسبب أنّهم لم يراعوا شروط فهم القرآن. هذا العمل يتبعه استنتاج خاطئ لمفهوم الآيات. ثم يقول الإمام عليه السلام: لم ينتبهوا لعوامل مثل بداية الآيات ونهايتها، ولم ينظروا للسؤال والجواب قبل الآيات وبعدها، وأهملوا علامات الوصل والفصل للكلام وكذلك الاستثناء و... ضلّوا في فهم الآيات.^٥

بهذا الكلام يتضح وجود بناءٍ ونظمٍ في كل سورة، يكون أخذهما بنظر الاعتبار ضرورةً من أجل الفهم الصحيح؛ كما يستمرّ الإمام عليه السلام قائلاً: «من لم يعرف... والمحمول على ما قبله وعلى

١. سورة الحاثية، الآية ٢٩.

٢. فتح البلاغة، الخطبة ١٣٣.

٣. الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦١٤: باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٤. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣، باب ١٢٨.

٥. بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣، باب ١٢٨.



ما بعده، فليس بعالم بالقرآن^١؛

الدليل العقلي

يمكن إثبات نظم السُّور وكونها هادفتها بالدليل العقلي أيضاً:

عدم النظم ليس كمالاً؛ بل عيب

إنَّ إثبات عدم النظم في ترتيب الآيات يعتبر عيباً للقرآن؛ كما لو يصف أحدُ كتابتنا بانعدام النظم والتناسب فإننا نعتبر ذلك غير لائق، وبالتالي فإنَّ القرآن الذي هو كلام إلهي، منزّه عن كلِّ ما هو عيبٌ.

ثالثاً. اسس استكشاف البناء

١. الأصل هو الاتصال، وليس الانقطاع

إنَّ الأصل أثناء قراءة سورةٍ ما لاستكشاف بنائها، هو العلاقة والصلة بين كلِّ آيةٍ بالآيات السابقة؛ إلا إذا كان بين أيدينا دليلٌ على الانقطاع الأدبي والموضوعي، حتى يمكن اعتبار الآية منفصلةً عن الآيات السابقة، وبداية سياقٍ جديدٍ. كذلك الحال فيما إذا كان هناك إمكانيّة للاتصال ولم تكن هناك قرائن أيضاً على الانقطاع، فإنَّ الاتصال هو الأصل.

٢. معيار تقسيم الآيات، هو الاتصال السياقي

إنَّ معيار تقسيم الآيات هو السياقات القرآنيّة، وليس الركوعات، الأعشار والأخماس؛ لأنَّ الركوعات، الأعشار، الأخماس، الحزب والجزء هي تقسيمات اعتباريّة، تتجاهل اتصال آيات القرآن وانقطاعها، من حيث المضمون والموضوع والأدب العربيّ، لكنّ تصنيف الآيات على أساس السياق هو الاهتمام بظاهر الآيات ومراعاة اتصالها وانقطاعها.

من جهةٍ أخرى، فإنَّ التقسيم على أساس الحزب والجزء والركوع... عمليّة بشريّة مفروضة على القرآن؛ لكنّ التقسيم على أساس السياق قرآنيّ وإلهي؛ لأنّه في هذا الأسلوب يتمّ تتبّع

١. المصدر نفسه، ص ٤.

العثور على مواضع الاتصال والانقطاع بين الآيات فقط، لنجد الآيات التي تتصل ببعضها من حيث الوحي والنظم و الترتيب الإلهي، وتحدث عن موضوع واحد، ونسميها سياقاً قرآنياً واحداً؛ وبالتالي فإنه في

التقسيم السياقي رُوعي من جهة العلاقة والاتصال الموضوعي والأدبي، ومن جهة أخرى هذا اللون من التقسيم تابع لرأي القرآن والوحي وليس خاضعاً لاعتبار إنساني.

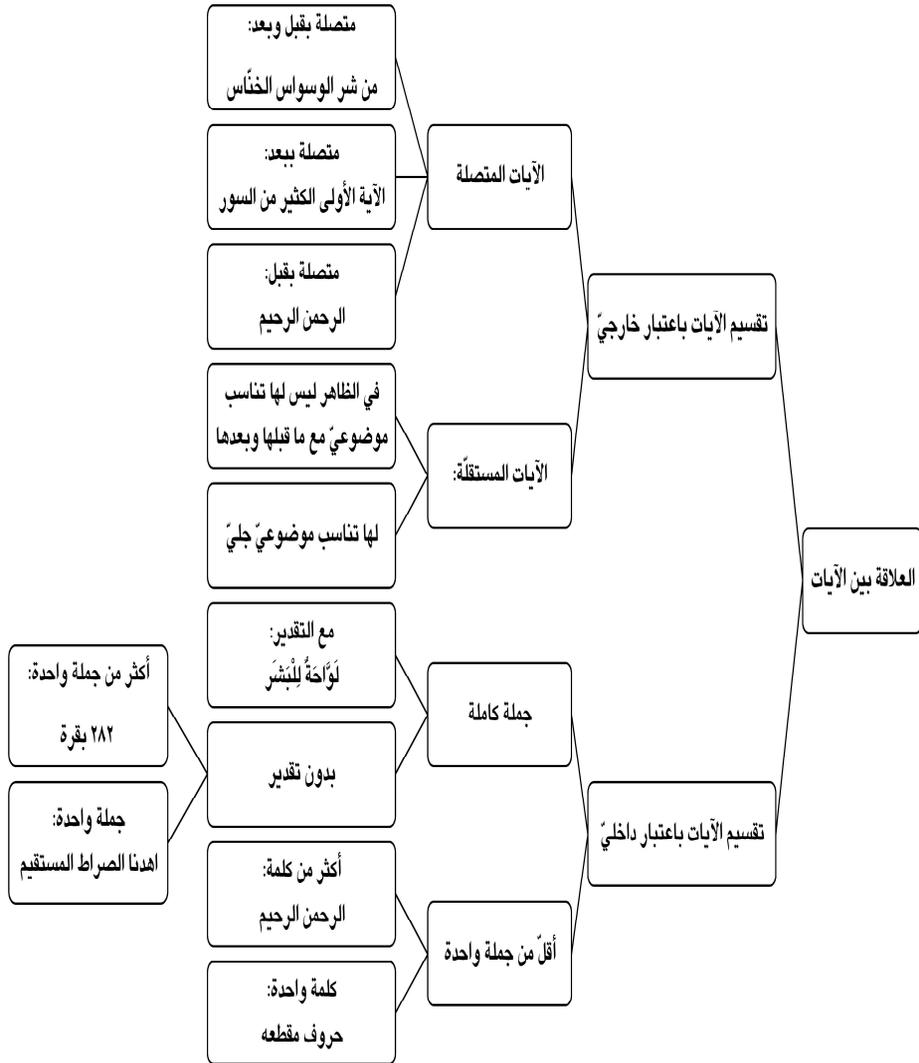
رابعاً. أسلوب استكشاف البناء؛ ونموذج له:

أسلفنا أنّ بناء النصّ هو عنصر مُتَنَزِع من نصّ كلام الله، ويُظهِر نظم النصّ بمحوريّة ألفاظ النصّ. وفي أسلوب استكشاف بناء النصّ أيضاً يتم توظيف الصلات الأدبيّة واللفظيّة؛ وإن كان للقارئ المضمونيّة دور في استكشاف البناء.

إنّ استكشاف بناء النصّ القرآنيّ يمكن تحقّقه بالقراءة ثلاث مرّات: بالقراءة الأولى يتكوّن تصوّر أو فكرة عن البناء في الذهن، بالقراءة الثانية يتمّ تصحيح التصرّور السابق، وأخيراً بالقراءة الثالثة يتمّ تصديق التصرّور الذي تمّ تصحيحه. الجدير بالذكر أنّ القراءات المتكرّرة تأتي بعد الإحاطة بقواعد ومبادئ استكشاف بناء الآيات واستخدامها.

وتمثّل دراسة الانسجام والتماسك الأدبيّ بين آيات سورة واحدة أهمّ أصلٍ في استكشاف بناء آيات القرآن الكريم وسوره. ويؤدّي التمكن من قواعد الأدب العربيّ دور أساسياً لأجل هذا الأمر. سنوضح فيما بعد، موضع دلالة الانقطاع الأدبيّ لآية عن الآيات السابقة، على انفصال السياق وبداية سياقٍ جديدٍ.

وحرّي بنا في الخطوة الأولى أن نحدّد تقسيم الآيات والجمل داخل الآية، لتكوّن فكرة إجماليّة عن الآيات وبنائها الداخليّ وعلاقة كلّ بالآيات الأخرى.





لكل آية من القرآن دلالتان: سياقية واستقلالية، لمعظم الآيات المتواصلة في البداية دلالة سياقية، ودلالاتها الاستقلالية تحتاج إلى الاستكشاف، بحيث يحظى معظم الآيات المستقلة بدلالة مستقلة أصالة، وتمتلك الدلالة السياقية ضمن عملية ما.

عوامل الانسجام والتماسك الأدبي

بعد بيان تقسيم الآيات والعبارات داخل الآيات، فإننا سنقوم بدراسة عوامل تماسك الآيات ووقوعها في سياق واحد. الحالات التالية هي العوامل الرئيسة لتماسك الآيات:

ضمير الغياب: وفق قواعد الأدب العربي فإن ضمير الغياب هو الذي يحتاج إلى مرجع، كما أن المرجع يجب أن يكون مذكوراً في الكلام؛ لكن ضمائر الخطاب والتكلم لا يعوزها مرجع لفظي؛ لأنّ مرجع الضمير في ضمائر الخطاب نفس الشخص الذي يتحدث معه المتكلم. في ضمائر التكلم أيضاً مرجع الضمير هو نفس المتكلم؛ لذلك فضمير الغياب ومرجعه في الآيات السابقة هما السبب في التماسك الأدبي بين الآيات. لهذه الضمائر استخدامات كثيرة في الآيات القرآنية، وإثما في كثير من الحالات تكون دليلاً على تواصل الآيات، مثل الآيات الأولى من سورة المطففين: ﴿وَنِلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ نجد أنّ ضميري الغياب المفعولين ﴿فُمْ﴾ في ﴿كَالُوهُمْ﴾ و ﴿وَزَنُوهُمْ﴾ يعودان إلى ﴿الناس﴾ في الآية الثانية، ويشكلان العامل الأدبي لتواصل الآية الثالثة مع الآية الثانية.

٢. حرف العطف: بما أنّ حروف العطف تعطف كلمة أو جملة على كلمة أو جملة سابقة، فإنها تؤدي إلى تواصل أدبي بين ما قبلها وما بعدها. كما أنّ استعمالات هذه الحروف في القرآن الكريم كثيرة، مثل: ﴿وَنِلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ في هذه الآيات نرى جملة ﴿إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ في الآية الثالثة معطوفة بواو العطف في بداية الآية على الجملة ﴿إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ في الآية الثانية، وهي



عامل التواصل بين هاتين الآيتين.

٣. اسم الإشارة: يستخدم اسم الإشارة من أجل الإشارة إلى شخص أو شيء، وعادة ما يكون المشار إليه مذكوراً في الكلام، ويؤدّي إلى العلاقة الأدبية لما قبله وبعده مثل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَلَّوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَبْظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)﴾^١ فاسم الإشارة «أُولَئِكَ» في الآية الرابعة، يشير إلى كلمة ﴿المُطَفِّفِينَ﴾ في الآية الأولى، ويسبب التواصل الأدبي.

٤. الخبر (المسند): الخبر هو المسند نفسه، له علاقة مع المبتدأ (المسند إليه)، وهو عامل آخر للتواصل الأدبي. والخبر تارة يأتي مفرداً واسماً واحداً، وتارة يأتي جملةً، مثل آيات سورة التوحيد التي تقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ حيث إنّ جملة ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هي الخبر الثاني للمبتدأ «هو» في الآية السابقة.

٥. الصفة: أحياناً يأتي اسم أو جملة، صفةً لاسمٍ آخر في الآيات السابقة، وهو عامل آخر من عوامل التواصل الأدبي، كقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾ فاسم الموصول «الَّذِينَ» في بداية الآية الثانية هو صفة لاسم ﴿المُطَفِّفِينَ﴾ في الآية الأولى.

٦. الحال: يُطلق على اسم مشتق أو جملة تبين حالة من حالات الاسم الذي قبلها، وهو من الناحية الأدبية متصل بذلك الاسم، نحو آيتين من سورة المطففين: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٢) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣)﴾ «الواو» في بداية الآية الثالثة والثلاثون هي «الواو» الحالية، وجملة ﴿مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ حالٌ عن الضمير الفاعلي في «قالوا» في الآية التي سبقتها، وتؤدّي إلى التواصل الأدبي بين هذه الآيات.

٧. المفعول: يُعدُّ جميع أقسام المفعول (المفعول به، المفعول له، المفعول فيه، المفعول المطلق،

١. سورة المطففين، الآيات ١ - ٤.

المفعول معه) من عوامل التواصل الأدبي، وقد استعملت في القرآن، كآلية الثالثة من سورة المطففين: ﴿وَإِذَا كَلَّوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣) الضميران «هم» في هذه الآية مفعولٌ بهما. وكذلك في الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦) «يوم» مفعول فيه. في الآية السادسة من سورة الانشقاق أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ «كَدْحًا» مفعول مطلق.

﴿متاعا﴾ أيضًا في الآية الثالثة والثلاثين من سورة النازعات: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ. (٣٣) هي مفعول له وتُعدُّ علةً في الأعمال التي تم القيام بها في الآيات السابقة.

٨. التأكيد: من العوامل الأخرى للتواصل الأدبي، تأكيد موضوع مرّ في الآية أو الآيات السابقة، كآليات الأولى من سورة الحاقة: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)﴾ التي تؤكد حتمية ﴿الحاقة﴾.

٩. البدل: البدل في النحو العربي على ثلاثة أقسام: بدل الكلّ عن الكلّ، وبدل الجزء عن الكلّ، وبدل الاشتمال، وكلّ واحد من الثلاثة يستتبع التواصل الأدبي لآية مع الآية أو الآيات السابقة؛ بدل الكلّ عن الكلّ مثل الآيات الخامسة عشر والسادسة عشر من سورة العلق: ﴿كَلَّا لَئِن لَّرَبُّنَا لَسَنَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦)﴾ فكلمة ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل عن ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ في الآية السابقة؛ بدل الجزء عن الكلّ مثل هاتين الآيتين من سورة البروج: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨)﴾ حيث إنّ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ بدل عن ﴿الْجُنُودِ﴾؛ و بدل الاشتمال مثل الآيات الأولى لسورة البروج: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْضُدِ (٤) التَّارِذَاتِ الْوَقُودِ (٥)﴾ فكلمة ﴿التَّارِذَاتِ﴾ بدل من ﴿الأخضود﴾ في الآية السابقة.

١٠. عطف البيان: عطف البيان من التوابع الأخرى التي تعمل على التواصل الأدبي، وتقدم توضيحًا حول الكلمة السابقة له؛ كآليات السادسة والسابعة من سورة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)﴾ فكلمة ﴿إِرْمَ﴾ عطف بيان لكلمة ﴿عَادٍ﴾.



١١. **الظرف و المظروف**^١: من العوامل الأخرى لاتّصال الآيات، الظرف و المظروف.

فعلى سبيل المثال الآيات الأخيرة لسورة العاديات:

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِذْ هُمْ يُقَدِّمُونَ ﴿٩﴾ وَخَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ الآية التاسعة و

العاشرة ظرفان، ويجسدان فضاء سيتحقّق فيه المظروف، وهو مضمون الآية الحادية عشرة، يعني علم الله الدقيق ومعرفته بالبشر.

١٢. **الاستثناء**: بما أنّ الاستثناء يتعلّق بما سبق من حكم وموضوع؛ فيُعتبر أحد عوامل

التواصل الأدبيّ، كآيات سورة الغاشية: ﴿ فَذَكَرْنا إِمّا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ففي الآية الثالثة و العشرين، قد استثنى الذين تولّوا عن الحقّ و كفروا، من عموم الذين يجب على الرسول ﷺ تذكيرهم.

١٣. **جواب الشرط**: أداة الشرط تحتاج إلى فعلٍ وجوابٍ للشرط وهما متّصلان ببعضهما،

مثل آيات سورة الانشقاق: ﴿ فَأَمّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحاسبُ حِساباً أَسيراً ﴿٨﴾ ﴾ الآية الثامنة، جواب شرط ﴿ فَأَمّا ﴾ في الآية السابقة.

١٤. **جواب القسم**: القسم وجوابه أيضاً من عوامل التواصل الأدبي واللفظي؛ كالأيتين في

سورة الانشقاق: ﴿ وَالْقَمَرَ إِذا السَّقِ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ فالآية التاسعة عشرة هي جواب القسم في الآية السابقة.

١٥. **التعليل**: إذا كانت كلمة أو جملة علّة لموضوع مرّ ذكره في الآية أو الآيات السابقة،

فإنّها ستكون علاقة وتوصلاً بين هذه الآيات، مثل الأيتين في سورة الأعلى: ﴿ فَذَكَرْنا إِنا نَفَعْتِ الدُّكْرى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرْنا مَنْ يَخشى ﴿١٠﴾ ﴾ فالآية العاشرة تعليل للأمر ﴿ فَذَكَرْنا ﴾ في الآية السابقة.

١٦. **التقابل**: أحد العوامل الأخرى في التماسك والتواصل الأدبيّ، هو التقابل. في التقابل

١. الظرف زمان أو مكان وقع فيهما أمر، أو يقع حادث فيهما، والشئ الذي يقع ويحدث في ذلك الزمان أو المكان يُسمّى المظروف.

تكون آيتان أو مجموعتان من الآيات في مواجهة بعضها من الناحية الموضوعية، ومن الناحية الأدبية لهما أسلوب مماثل ومشابه، وكمثال على تقابل آيتين، يمكن أن نشير إلى الآيات العاشرة والحادية عشرة من سورة البروج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمَّا تَبَايَعُوا لَهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ موضوع هاتين الآيتين متقابلان فيما بينهما، فالآية الأولى حول الكفار الذين يعدّون المؤمنين، والآية الثانية حول المؤمنين. وإتّهما مشتركتان أيضاً في الأسلوب، والآيتان كلتاها اسميتان ومبدوءتان بعبارة ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾.

كما يمكن مشاهدة تقابل مجموعتين من الآيات أيضاً في آيات سورة المطففين:

المجموعة الأولى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)﴾

المجموعة الثانية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيِّينَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠)﴾

إنّ التقابل الموضوعي والاشترك الأسلوبي واضحان في هاتين المجموعتين من الآيات أيضاً.

١٧. الآيات المعترضة: سبق القول بأنّ تواصل الآيات وتماسكها هو الأصل، إلا إذا وجدنا دليلاً على عدم التواصل؛ مثل عدم وجود أيّ من عوامل التواصل الأدبي بين الآيات، وهناك بداية مستقلة؛ يجدر ذكره أنّه تقع أحياناً عدّة آيات ضمن مجموعة واحدة من الآيات المتصلة والمربطة ببعضها، دون أن يكون لها اتصال وارتباط أدبيّ بما قبلها وبعدها، فهي التي تُسمّى «الآيات المعترضة». والآن نقوم بتوضيح تلك الآيات:

كلّما أتت مجموعة مستقلة من الآيات بين عدّة آيات متصلة ببعضها، ولم يكن لها اتصال بآيات المجموعة المتصلة، سُمّيت «الآيات المعترضة». هذه الآيات في الظاهر تبدو وكأنّها السبب في انفصال المجموعة المتصلة، ويجب استكشاف الدلالة السياقية لتلك الآيات مستعيناً بما قبلها وما بعدها.

الآيات ١٦ حتى ١٩ من سورة القيامة مثال على الآيات المعترضة التي هي مستقلة



استقلالاً كاملاً، وتقع بين الآيات ٧ حتى ١٥ و ٢٠ و ٢١.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبُصْرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) نَبَأًا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تُحْرِكُهُ بِلِسَانِكَ لِتُحْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ (١٩) كَلَّا بَلِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)﴾

إنَّ الآيات ١٦ حتى ١٩ جاءت بين آيات لا تتناسب معها بحال؛ لأنَّ الآيات المذكورة تشير إلى نهي الرسول الأكرم ﷺ عن التعجل في قراءة القرآن أثناء تلقي الوحي من جبريل، ولكن الآيات السابقة واللاحقة التي تدور حول القيامة، مترابطة ببعضها ترابطاً كأنَّ الآيات التي بينها تسببت في انفصالها عن بعضها. لكن بعد التدقيق في سياق السورة، يتضح أنَّ هذه الآيات (١٦ - ١٩) تتصل بالآيات السابقة واللاحقة لها. الجدير بالذكر أنَّ حلول هذه الآيات بين آيات أخرى، دليلاً تناولناه في مكانه.^١

لهذا، في مثل هذه الحالات كآيات سورة القيامة هذه، فإنَّ السياق الذي بدأ من الآية الثالثة واستمرَّ حتى الآية الواحدة والعشرين، والآيات ستة عشر حتى تسعة عشر، كانت معترضة في الوسط، وهي مستقلة بنفسها.

معياري انقطاع السياق والمجموعة

إنَّ انقطاع الاتصال الأدبي في موقفٍ ما بين آيات والآيات السابقة، وتغيّر الموضوع أيضاً، ظهر عندها سياق جديد، وإن لم يكن بين آية والآيات السابقة اتصال أدبي لكنهما مترابطتان موضوعياً، فهذه الآية استمرار لنفس موضوع الآيات السابقة، ولا يمكن قطع السياق السابق واعتباره سياقاً جديداً، بل سيؤدّي ذلك إلى ظهور مجموعة جديدة في ذلك السياق نفسه؛ إنَّ آيات سورة المدثر خير مثالٍ على هذا الكلام، حيث حصل فيها نوعان من الانفصال الأدبي: في

١. للاطلاع على كيفية ارتباط الآيات، انظر: إلهي زاده، محمد حسين، التدبر في القرآن، جزء ٢٨ و ٢٩.



القسم الأول وعلى الرغم من أنه ليس هناك انقطاع في السياق؛ إلا أنه أُنتِجَتْ مجموعة جديدة، وفي القسم الثاني أدى الانفصال إلى سياق جديد.

﴿ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتَ لَهُ مَالاً مُمْدُوداً (١٢) وَبَيْنَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدْتَ لَهُ تَمْهيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا (١٦) سَأَزِيهُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَتَقَلَّبَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَبِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَبَّأَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُضْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَذْرَاكَ مَسْقَرٌ (٢٧) لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوْ أَحَاطَ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّةَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَالْيَسْتَفِيقُونَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدُّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ (٣٣) وَالصُّبْحَ إِذَا سَفَرَ (٣٤) إِنَّهَا إِلَّا خُدْيَ الْكُوبِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةً (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ اليمين (٣٩) فِي جنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا الرُّنْتُكَ مِنَ الصُّلِيِّنَ (٤٣) ... ﴾

فالسياق الذي بدأ من الآية الحادية عشرة لهذه السورة، استمرَّ حتى الآية الثلاثين، وجميع هذه الآيات متواصلة أدبيًّا وموضوعيًّا، ولكن حصل انقطاع أدبي في الآية الواحدة والثلاثين، ولا صلة أدبية بين هذه الآية والآيات السابقة، وإن لم يتغيَّر موضوعها فيما بعد، وهي تتحدَّث عن عمَّال جهنم؛ إذ لا يمكن اعتباره بداية سياق جديد، بل إنَّ هذه الآية تخلق مجموعة جديدة ضمن السياق نفسه.

كذلك الآية الثامنة والثلاثون ليس لها أي اتصال أدبي بالآيات السابقة، لأنه لا يوجد فيها أي واحد من العوامل الستة عشر للتواصل الأدبي. كما أنَّ موضوعها يختلف عن موضوع الآيات السابقة التي كانت حول حقايتة القرآن؛ لذلك فإنَّ الآية الثامنة والثلاثين بداية سياق جديد.



الخطوة الثالثة: تفهّم النص بأسلوب فهم الجهة الإرشادية للآيات والسُور

أولاً. مبادئ استكشاف الجهة:

١. أجواء النزول

«أجواء النزول» تتعلّق بمجموع سورة واحدة، ويتمّ فيها دراسة الأوضاع العامّة، أو صاف الناس، الحوادث و الظروف الخاصّة التي كانت في فترة نزول سورة واحدة في الحجاز و خارجها. سبق القول بأنّ كلّ واحدة من سُور القرآن الكريم فصل جديد يفتتح بنزول الآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ و تحتتم بنزول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ للسرورة التالية. إنّ لبعض سُور القرآن الكريم نزولاً دفعياً؛ مثل سورة الحمد، و الأنعام والنصر؛ وقد نزل بعضها بالتدرّج خلال عدّة أشهر أو عدّة سنوات، وقد وقعت أحداث في نطاق حياة المسلمين و العالم الخارجي، وكانت ظروفٌ خاصّةٌ سائدةٌ خلال فترة نزول سورة واحدة؛ إنّ إزاحة الستار عن تلك الأحداث و الظروف وتسلّط الأضواء عليها في بداية كلّ سورة من السُور، سيكونان تحديد أجواء نزول تلك السورة.^١

٢. شأن النزول، وسبب النزول

معظم المفسّرين لا يرون اختلافاً بين هذين المصطلحين، واستخدموا كلا العنوانين في الآية أو الآيات النازلة، لكنّ الحق أنّ هناك فرقاً بين هذين الاثنین؛ لأنّ شأن النزول أعمّ من سبب النزول؛ فكلّما نزلت آية أو آيات بمناسبة قضیةٍ حول شخص أو حادث، سواء في الماضي أو الحاضر، سُمّي ذلك «شأن النزول»؛ كما لو نزلت آية حول عصمة الأنبياء، والملائكة، سيّدنا إبراهيم عليه السلام، نوح عليه السلام أو آدم عليه السلام. الجدير بالذكر أنّه على حسب رأي بعض العلماء فإنّ شأن النزول يصدق أيضاً فيما يخصّ الأشخاص أو الحوادث التي كانت بعد نزول آيات القرآن، وتمّ تطبيق آيات من القرآن عليها.

أمّا سبب النزول، فهو كلّ حدثٍ أو سؤالٍ في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، نزلت بموجبه آيةٌ أو

١. تفسير التنسيم، ج ١، ص ٢٣٥-٢٣٦.

آيات من القرآن متزامنة معه أو بعده؛ إنَّ قيد «الوقوع في عصر الرسول ﷺ» هو أهمّ قيدٍ اهتمّ به المفسّرون في تعريف أسباب النزول، لِتَخْرُجَ من نطاق أسباب النزول على أساسه، الأحداثُ التي وقعت قبل الإسلام وتشير إليها آيات من القرآن. وبالتالي فإنَّ سبب النزول أخصّ، وشأن النزول أعمّ.

ثانياً. مباني استكشاف الجهة:

١. منزلة القرآن في هداية البشر

القرآن كتاب هداية البشر: ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^١ ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾^٢، فهداياته خالصة نقيّة وغير مترجحة بالرحس والشرّ، وهو طاهر عن كلّ باطل و عوج: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾^٣ إنَّ مراجعته في التباس الفتنة أمر ضروريّ: يقول رسول الله ﷺ: ﴿فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْأُمُورُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ - فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ﴾^٤ هذا النور يهدي الإنسان لأقوم السبل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^٥ و كذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام: ﴿مَنْ اتَّخَذَ قَوْلَ اللَّهِ دَلِيلًا، فَهُدًى إِلَى التِّي هِيَ أَقْوَمُ﴾^٦. إنَّ أهميّة هداية القرآن لدرجة أنّه لم يُطلب منّا مجرد مراجعة القرآن الكريم والتمسك به؛ بل إننا مُنغنا من الالتفات إلى غيره أيضاً، كما يقول الإمام الرضا عليه السلام: ﴿لَا تَطْلُبُوا الْهُدَى فِي غَيْرِهِ فَتَضَلُّوا﴾^٧؛ هذه هي الهداية الإلهية التي لا بديل لها، متمثلة في المصباح القرآن المنير.

إنَّ الهدف الأساس في الهداية القرآنية هو إعداد القائد وإعداد الأمة. كما أنّ واجب المسلم

١. سورة آل عمران، الآية ٩٦.

٢. سورة المدثر، الآية ٣٦.

٣. سورة البينة، الآية ٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٣٦.

٥. سورة الإسراء، الآية ٩.

٦. غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٥٧، ح ١٩٧٤.

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٥٦، باب ٣١: فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.



أيضاً أن يعلمَ أهو قائد أم من الأمة.

إنّ نطاق هداية القرآن، عالمي، وخالد ودولي.

إنّ سبيل تحقّق الهداية القرآنيّة هو خلق التيار، وبناء النظام، وبناء الحضارة القرآنيّة.

خصائص هداية القرآن

الأول. عامّة، وموجّهة

إنّ الأهداف والاستراتيجيّات والسياسات العامّة كلّها يتمّ تحديدها ورسمها بالقرآن، لكنّ تطبيقها وكيفية تنفيذها يمكن بفضل أهل بين العصمة والطهارة ﷺ.

إنّ مراجعة القرآن ليست من أجل العمل بتفاصيل الأحكام، بل من أجل الوصول إلى الاتجاهات العامّة، وفي الأحكام يجب أن يكون القرآن رفيقاً وقريناً للعترة ﷺ، إذًا للقرآن في التوجّه أو الاتجاه حجّية استقلاليّة، لكن في أخذ الأحكام، ليس له مثل هذه الحجّية.

القرآن يضع السياسة، وليس التشريع، وإنّ وضع السياسة يفترق عن التشريع؛ لأنّه إذا طُرِح موضوعٌ بوصفه قانوناً، وصدّقَ عليه، فإنّه يصبح ملزماً منذ تلك اللحظة، لكن في وضع السياسة، بعد رسمها يجب أن تتمّ الحركة في سياق ذلك.

الثاني. عرفانيّة، سياسيّة، اجتماعيّة

إنّ النظام التربويّ للقرآن، اجتماعي؛ يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^١ وكذلك قال رسول الله ﷺ أيضاً: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^٢.

الثالث. عقلائيّة

منطق القرآن هو التربية العقلائيّة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^٣ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. سفينة البحار، ج ١، ص ٦٥٢؛ نهج الفصاحة، ص ٤٥.

٣. سورة يوسف، الآية ٢.

أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفْرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴿١﴾. كذلك جاء الرسل ليعبثوا دفائن العقول ويُحيوها. كما أنّ أهداف أهل البيت ﷺ لاسيّما إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، هو ازدهار العقلانيّة.

الرابع. ولائيّة

للقرآن توجيه كامل، ولكنّ القرآن في موقف التطبيق، يشكّل واحدًا من الأضلاع الثلاثة للتبيين. فالكلام الأوّل للقرآن، الكلام الثاني للسنة، وثالثًا يأتي العقل. للقرآن حجّية استقلاليّة في الهداية، ولكنّه في مقام العمل حجّة بالانضمام إلى السنّة والعقل. التدبّر في القرآن بصفته المستوى الأوّل لفهم القرآن، مُعتبرٌ، ولكنّ التفسير الذي هو استنتاج وشرح وبسط للقرآن، يحتاج إلى الروايات والقرائن اللبّيّة.

إنّ القرآن يهدينا نحو شخصيّة الإمام ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^٢ يقول الإمام الصادق ﷺ حول هذه الآية: ﴿يَهْدِي إِلَى الْإِمَامِ﴾^٣ يعني القرآن يهدي إلى الإمام؛ والمقصود ليس شخص الإمام؛ بل شخصيّة.

الخامس. الوجوديّة

المستوى الأوّل للوحدة يتعلّق بالله. فهو عامل الوحدة في ذات الانسان وباطنه. إذا كان شخص مع الله، فقد ظفر بالوحدة في القوى الباطنيّة. إذا لم يكن هناك اهتمام بالله، فإنّ داخل الإنسان سيكون مضطربًا وثنائي القطبيّة: ﴿الْأَبْذَكَرَ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٤.

المستوى الثاني للوحدة يتعلّق بالقرآن والعترة ﷺ. فالقرآن والعترة للبشريّة جمعاء وليسا للشيعة فحسب.

١. سورة سبأ، الآية ٤٦.

٢. سورة الإسراء، الآية ٩.

٣. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢١٦.

٤. سورة الرعد، الآية ٢٨.

ليست الوحدة موضوعاً سياسياً؛ بل عقائدي: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾^١ ولا ينبغي التفكير في التفرقة: ﴿وَلَا تَفْرَقُوا﴾ إذا اعتبرنا الوحدة جزءاً من الدين، فإن كثيراً من نقاط الضعف تزول من المجتمع؛ فالوحدة أمر بوزن التوحيد. يقول سماحة قائد الثورة أيضاً:

اليوم كلّ حنجرة تدعو إلى وحدة العالم الإسلامي هي حنجرة إلهية، ناطقة باسم الله. كلّ حنجرة ولسان يحرض الشعوب المسلمة، والمذاهب الإسلامية، ومختلف الطوائف الإسلامية إلى العداء فيما بينها، ويشير العصبية ضد بعضها، فهو ناطق باسم الشيطان.^٢

السادس. الواقعية

يذكر القرآن الإنسان أنّ آيةً أمّية ليست جيّدة، ويجب أن تكون على أساس الواقع: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^٣ وفي النهاية، يجب أن يكون التصوّر على أساس الموضوعية والتحقّق، ولا يمكن الاكتفاء بالأمال الجيدة ما لم تتحقّق؛ من جهة فإنّ الوصول إلى الواقعيّات منوط بسعي الإنسان: ﴿لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاّ مَا سَعَى﴾^٤.

إنّ هداية القرآن تتناسب مع الوقائع، والحاجات ومستوى العمل. إنّ عمليّة التربية القرآنية تتحقّق بحضور عجلة العمل، أي أن نعلم ونعمل، حتى نحز الرشد القرآني. إذا العلم وعدم العمل يؤجبان قساوة القلب.

السابع. الأخروية

إحدى الجهات الأخرى للقرآن هي النظرة الأخروية. إنّ حياة الانسان وهندستها يجب أن

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. كلمة سماحة القائد المعظم للثورة بمناسبة أسبوع الوحدة، ٢٠١٣/٦/٧.

٣. سورة النساء، الآية ١٢٣.

٤. سورة النجم، الآية ٣٩.



تقوم على أساس النزعة الأخروية. إنّ ثلث آيات القرآن حول المعاد. يجب أن تدخل النزعة الأخروية في الحياة، وتحوّل إلى ثقافة. هذا العمل يقلّل الشهوات في المجتمع؛ لأنّ المعاد يحفّف جذور الشهوة.

إنّ الآخرة للقاء الله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^١ فالخوف من النار يسبّب ترك المعاصي، والطمع في الجنة يدفع إلى أداء الواجبات، لكنّ الرضوان الإلهي هو باطن الأعمال.

الثامن والتاسع. المرحلية، والنزعة التيارية

لقد نُظِّمَت الأوامر القرآنية في مستويات ومراحل، لأنّ الانسان ذو مراتب. يجب الانطلاق من المرحلة الأولى، للوصول إلى المراحل والمستويات الأخيرة.

إنّ الخطة القرآنية خطة تنموية. فمن يلتحق في أيّ مرحلة بهذا النظام، فإنّ القرآن يؤثّر فيه، و ينميه، ويوصله إلى المرحلة التالية، ويقدم له برنامجًا ملائمًا للمرحلة الجديدة: ﴿أَقْرَأْ وَ أَزْكِرْهُ﴾^٢. إنّ القرآن يشبه الصيدلية حيث يُنتقى الدواء الناجع لعلاج المرض. فكتاب الله ينمي البشر فئة فئمة، وهدايته تيار حيث إنّ كلّ فئة في طريق عريض. فالقرآن بدل هداية الأفراد، يتولّى هداية التيارات، ويدخل المشتركون في تيار واحد، وكلّ شخص يعمل بأوامر تياره.

٢. استقلال السورة، وتبعية الآيات

أسلفنا أنّ تموضع الآيات بين السور توقيفي، وعلى أساس الوحي الإلهي؛ وهنا يتبادر هذا السؤال: أ لكلّ آية وجود وهوية مستقلة ومنفصلة عن بقية الآيات أم أنّها تُعتبر جزءًا من كلّ أكبر؟ بعبارة أخرى، أ كلّ آية مستقلة في إيصال رسالتها أم أنّ فهم مضمون الآية منوط بفهم ما قبلها وما بعدها؟ يبدو أنّ الشئ الذي يمتلك في القرآن الكريم حيثية مستقلة في الرسالة والمضمون، هو السورة ولا تحتاج إلى ما قبلها وبعدها، ولكنّ آيات القرآن ليست هكذا، ولا

١. سورة الكهف، الآية ١١٠.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٠١.

يمكن رؤيتها لوحدها ومنفصلة عما قبلها وبعدها؛ لذلك لا ينبغي تفسيرها في جوّ منفصل.
لهذا المعتقد عدة أدلة:

الدليل الأول. لقد استُخدمت السورة في القرآن الكريم بمعناها المشهور والمعروف كما يقول:
﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بيّناتٍ لعلّكم تذكرون﴾^١ كذلك يقول: ﴿وإذا ما أنزلت سورةً
فممنهم من يقول أئكم زادته هدياً إيماناً﴾^٢.

إيضاح ذلك أنّ السورة إما أن تكون مهموزة من مادة «س أ ر»، أو غير مهموزة ومن
مادة «س و ر»، إنّ جذر «س أ ر» في اللغة بمعنى البقية من الطعام، والبقية من كلّ شيء؛
وجذر «س و ر» بمعنى العلوّ والارتفاع أيضاً.^٣ فالسورة في المصطلح القرآنيّ صحيحة في
إطلاقها على كلّ واحد من المعنيين؛ لأنّها إذا كانت من الجذر المهموز «س أ ر»، فإنّه يُطلق
عليها السورة؛ لأنّها قسم مأخوذ عن القرآن، وإذا كانت من الجذر غير المهموز «س و ر»،
فإنّه يُطلق عليها السورة؛ لأنّ كلّ سورة من القرآن كقلعة وجدار مرتفع منيعة وحصينة. من
جهة أخرى، فإنّ كلّ سورة هي كلام الله ولها كرامة و منزلة ورفعة، لذلك يمكن أن نستنتج أنّ
السورة قطعة من القرآن لها كرامة ورفعة واستقلال.

هذا الشرح يوضّح أنّ القرآن الكريم اعتبر السورة وحدة مستقلة وتامة، ويطلق عليها اسم
قطعة مأخوذة منه.

الدليل الثاني. جاء في بعض أحاديث النزول أنّ سُور القرآن الكريم قد بدأت ب ﴿بسم الله الرحمن
الرحيم﴾ و كانت تنتهي بالنزول المجدّد لهذه الآية الشريفة؛ لذلك فإنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١. سورة النور، الآية ١.

٢. سورة التوبة، الآية ١٢٤.

٣. معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١١٥؛ التحقيق في كلمات القرآن، ج ٥، ص ٢٥٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٣٦.

تُظهر أنّ الآيات الواقعة بين بسملتين مجموعة كاملة وتامة؛ وإلا لم يكن هناك حاجة إلى ذكر البسمة ثانية.

الدليل الثالث. لا يصحّ فصل الآية عن سياقها، لذلك لا يمكن اعتبار الآيات مستقلةً. كتب الطبري:

فغير جائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره إلا بحجّة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر، أو خبر عن الرسول ﷺ تقوم به حجة.^١
كذلك كتب الزركشي:

دلالة السياق ... من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره.^٢
إنّ تفسير الآية في السياق، يُظهر أنّ الآية لا تمتلك نطاقاً مستقلاً؛ بل هي مرتبطة بجوانبها وبمقتضى السورة كلّها، على عكس السورة التي لا تحتاج إلى تفسيرها في السياق، وهي مستقلة.

الدليل الرابع. تحديّ القرآن بالسورة، وليس بالآية. إنّ تحديّ القرآن هذا - مع أنّ حجم بعض الآيات بحجم عدّة سور قصار - ييكشف عن الفرق الجوهريّ بين الآية والسورة، ويؤيد أنّ السورة تُعتبر وحدةً مستقلةً، بينما الآية ليست كذلك. بالطبع تحتاج كلّ وحدةٍ مستقلةٍ و كلّ مجموعةٍ حقيقيّةٍ إلى عامل توحيد. سنبين في المستقبل أنّ العامل الموحد بين آيات سورة واحدة هو جهتها الإرشاديّة، وتعطي السورة وجوداً مستقلاً، ويجب مشاهدة الآيات في ضوء ذلك.

ويجدر بالذكر أنّ للآيات منحنى إرشادياً أيضاً، وكلّ آية مركّبة من جملة أو عدة جمل ذات معنى ومنحنى خاصّ، ولكن كما سبق القول، فإنّ جهة الجملة لا يمكن أن تكون الغرض

١. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج ٩، ص ٢٨٢.

٢. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣٠٣.



الأساسي للمتكلم، لذلك فإنّ المعنى الحاصل من آية واحدة، ليس هو المعنى الكامل الذي أراده الله؛ لأنه إدراك المعنى الأصلي ومراده، إمّا يتمّ في ظلّ الاهتمام بمجموع الآيات الواقعة ضمن مجموعة أكبر (السورة)، بعبارة أخرى إنّ الفهم الكامل لرسالة الله في كلّ آية، يرتبط بإدراك جهة السورة التي توجد الآية فيها.

كتب سيّد قطب:

يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أنّ لكلّ سورةٍ من سُورِهِ شخصيّةٌ مميّزة! شخصيّة لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيّ مميّز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسيّ أو عدّة موضوعات رئيسيّة مشدودة إلى محور خاصّ. ولها جوّ خاصّ يظلّل موضوعاتها كلّها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معيّنة، تحقّق التناسق بينها وفق هذا الجوّ. ولها إيقاع موسيقيّ خاصّ - إذا تعيّر في ثنايا السياق، فإنّما يتغيّر لمناسبة موضوعيّة خاصّة.. وهذا طابع عامّ في سُور القرآن جميعًا. ولا يشدّ عن هذه القاعدة طوال السُور.^١

والجددير بالذكر أنّ كثيرًا من الكُتّاب الآن يؤمنون بأنّ لسُور القرآن هوية غير الآيات؛ تسود فكرة خاصّة كلّ سورةٍ، وتُظمّت السورة كلّها لتبيين ذلك.^٢

إنّ الآيات سواء المتصلة منها أو المستقلّة، ليست لها وحدة شخصيّة. دليل هذا الادّعاء هو الآية الأولى لسورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٣ على أساس هذه الآية، قد نُسب إنزال القرآن إلى السورة: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ والآيات: ﴿أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ﴾ وليس إلى الآية الواحدة؛ لذلك فإنّ النظرة الأحاديّة إلى الآيات غير مقبولة، وينبغي

١. سيّد محمد قطب، في ظلال القرآن، ١٣٦٨ هـ، ج ١، ص ٢٣.

٢. عبدالرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ، ص ٢٧ - ٢٨.

٣. سورة النور، الآية ١.

ملاحظة الآية مع السياق السابق والتالي لها، أو ملاحظتها مع الآيات المماثلة لها في القرآن. الجدير ذكره أنّ جماعة من باحثي القرآن يعتبرون التدبر في القرآن هو تقصي الحقائق في القرآن، كما اعتبر جماعة آخرون التدبر في الآيات هو الرسائل والتعاليم المستفادة من الآية، بينما البعض الآخر أيضاً يعتبرون الترجمة والتفكير في الترجمة هو التدبر في الآيات؛ ولكن يجب القول: إنّ التدبر في الآيات هو النظرة السياقية للآيات، وترجمتها السياقية، وكذلك مشاهدة جمل الآيات مرتبطة مع الآيات نفسها. بعبارة أخرى، فإنّ التدبر في الآيات هو «استكشاف علاقة المفردات ببعضها»، و «الوصول إلى العبارات»، و «فهم ترابط الجمل»، و «الفهم السياقي للآية».

٣. التناسب والعلاقة بين أجزاء الكلام الإلهي

لا شك أنّ هناك علاقة بين أجزاء كلام الله، وأنّ كلمات ذلك الحكيم غير منفصلة عن بعضها. وهذه العلاقة واضحة في الجمل. يجب ترابط الجمل في آية واحدة أو عدّة آيات، لكنّ البعض وفق حديث عن الإمام الباقر عليه السلام، فإنّه لم يقبل الارتباط بين فقرات آية واحدة أو عدّة آيات.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «يَا جَابِرُ! إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنَاً، وَلِلْبَطْنِ بَطْنَاً، وَلَهُ ظَهْرٌ وَلِلظَهْرِ ظَهْرٌ، يَا جَابِرُ! لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوْهَا فِي شَيْءٍ وَأَخْرَجَهَا فِي شَيْءٍ، وَهُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُنْصَرَفٌ عَلَى وُجُوهِ»^١.

هذا الحديث حدا ببعض المفسرين ليظنوا أنّه ليس هناك حاجة أيضاً إلى التناسب والارتباط والانسجام في جمل آية واحدة؛ فكيف بالعلاقة بين الآيات أو بين السُّور؛ لذلك فهؤلاء لا يقبلون السياق وضرورته.

الجواب أنّه في مقابل هذا الحديث، حديث آخر يعتبر أنّ بعض الآيات تفسّر الآيات

١. المحاسن، ج ٢، ص ٣٠٠.



الأخرى؛ إذاً يجب أن نفسّر كلام الإمام محمد الباقر عليه السلام تفسيراً لا يتعارض مع هذا الحديث. يقول الإمام علي عليه السلام: «كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ»^١.

فقد أشار الإمام عليه السلام في هذا الحديث إلى العلاقة بين الآيات والجمال؛ كذلك في الحديث السابق يشير الإمام الباقر عليه السلام أيضاً بالكلمتين: «ظهر» و«بطن»، إلى العمق، وليس هناك كلام عن العلاقة الظاهرية بين مضمون الآيات. لا يخفى أنّ بيان ظاهر الآيات ليس تفسيراً، لأنّ التفسير شيء أسمى و أبعد من ظهور الآيات.

بعبارة أخرى، بمقارنة علّة «أولها في شيء» مع صدر الحديث، يتّضح أنّ كلام الإمام الباقر عليه السلام حول بطن القرآن، لكنّ مدار بحثنا - الذي يؤيّده كلام الإمام علي عليه السلام - حول ظهر الآية، والتناسب والعلاقة بين ظاهر الآيات.

من جهة أخرى، سيأتي أنّ الآيات تكون غير مستقلة ومتراطة مع بعضها أحياناً، وتكون مستقلة أحياناً، لا شك أنّ الآيات غير المستقلة مشتركة السياق، وبمقتضى حكمة الكلام وتناسبه مع المقام، يجب أن تكون الآيات المستقلة متناسبة مع موضعها من القرآن؛ لذلك تمتلك جميع الآيات السياق. كما لوحظ مراراً في الأحاديث أنّ الآية فسّرت بالنظر إلى سياقها: أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، قال: سألتني أبو قرة المحدث أنّ أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك، فأذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام، والأحكام.. إلى قوله، قال أبو قرة: فإنه يقول: ولقد رآه نزلة أخرى، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: ما كذب القواد ما رأى، يقول: ما كذب قواد حميد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: لقد رأى من آيات ربه



الْكُبرى، فَأَيَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ...^١

يَتَضَحُّ أَنَّ الإِمَامَ عليه السلام قد استفاد من سياق الآية في جوابه لأبي قرة.

٤. تسمية السُّور، و دورها في تعيين جهة هداية السورة

يذهب بعض المفسرين إلى أنّ تسمية السُّور كانت توقيفية، قد تمّ بأمر الله، وعلى يد الرسول الأكرم عليه السلام، لكنّ بعض باحثي القرآن لا يقبلون بهذا المذهب، ويرون تسمية السُّور عملاً بشرياً بات وضعاً تعينياً باستخدامه الكثير في عصر رسول الله عليه السلام.
وبغية وضوح الرأي الحقّ سنشير أولاً إلى طرق تسمية سُور القرآن. وردت المعايير التالية في تسمية سُور القرآن:

١. تسمية السورة بعنوان ورد في السورة، أو بموضوع نُوقِشَ في السورة، مثل: تسمية سور «النساء، والمائدة، والحجّ، والأنبياء، والأحزاب و...».
٢. أحياناً تكون كلمة أو جملة مذكورة في بداية السورة، هي المعيار في تسمية السورة، مثل سورة «العلق، والقدر، والتوحيد و...».
٣. أحياناً تأتي تسمية السورة باعتبار أوصافها أو خصائصها؛ مثل سورة الحمد التي جاءت في أوّل القرآن، فَتُسَمَّى «فاتحة الكتاب»، وبسبب آياتها السبعة تُسَمَّى «السبع المثاني»، أو سورة التوحيد التي تشير إلى «التوحيد الخالص» لذلك سُمِّيت بـ «التوحيد».
٤. أحياناً تبدأ السورة بالحروف المقطّعة، فَتُسَمَّى بهذه الحروف، مثل: «ق، ص، حم، يس، طه».
٥. تارةً يكون اسم الرسل أو الأشخاص معياراً لتسمية السورة؛ مثل سُور: «محمّد، ونوح، وإبراهيم، وسليمان، ويوسف، ولقمان، ومريم، وآل عمران، و...».
٦. إنّ تسمية السور باسم الحيوانات المذكورة فيها، معيارٌ آخر للتسمية؛ مثل: «البقرة، و



النحل، و النمل، و العنكبوت».

٧. إنَّ أوَّل شيءٍ أُقسِمَ به في السورة معيار آخر من معايير تسمية السُّور؛ مثل: «الفجر، والشمس، والضحي، والتّين، والعاديات».

الحقيقة أنّ تسمية السُّور لم يكن توقيفياً، بل سمّاها الناس بمختلف الطرق التي مرّ ذكرها؛ لأنّه لو كانت تسمية السُّور على أساس الوحي، أو بأمر الرسول الأكرم ﷺ، لاختيرت معايير أفضل وأدق؛ على سبيل المثال، لغدا مضمون الآيات وغرضها، وجهتها، وموضوعها، معياراً لتسميتها، وليس اسم حيوان مذكور في تلك السورة. لذلك لا يمكن الاعتماد على اسم السورة في استكشاف جهتها.

٥. وجود منحى إرشاديّ واحد في كلّ سورة

هل تسعى مجموع الآيات المنظّمة في سورة واحدة وراء هدف خاصّ ومحدّد، وهي ذات جهة واحدة، أم أنّ لكلّ سورة آياتٍ - بالرغم من وجود تناسب فيما بينها - تتكوّن في المجموع من مواضيع مختلفة، وربّما لا يوجد بينها أيّ تناسب؟ عرفنا سابقاً أنّ سُور القرآن توقيفيّة وتحوّلت بتدبير حكيم من الله، إلى مجموعات منفصلة، ولكلّ سورة وجود مستقلّ. كما سبق القول أيضاً أنّ لسُور القرآن بناء وترتيباً حكيماً. إذاً تحتاج كلّ مجموعة إلى معيار واحد. بعبارة أخرى، أجزاء المجموعة الواحدة تحتاج إلى عامل اشتراك، وهذا العامل بين سور القرآن هو الجهة الواحدة لكلّ سورة، حيث يتبع منحى إرشاديّاً خاصّاً. وسنورد الأدلّة على هذا الادّعاء باختصار:

الدليل الأوّل. ترتيب آيات كلّ سورة توقيفيّ

لقد ثبت في قسم المبادئ أنّ جمع القرآن كان في زمن حياة الرسول ﷺ، وبأمرٍ منه، كما أنّ ترتيب آياته إلهيّ وحياتيّ. الآن يتبادر هذا السؤال: أكان لرسول الله ﷺ في ترتيب آيات السورة نظم خاصّ وهدف، أم أنّ الآيات جاءت في سورة واحدة، متفرّقةً و بمواضيع

مختلفة غير مترابطة مع بعضها، فأخذت طبيعة مستقلة باسم السورة؟ لا يخفى أن الرسول الأكرم ﷺ أحد العقلاء بل رئيسهم، وأنه اهتم في الترتيب الإلهي لآيات سورة واحدة، بعلاقتها ببعضها؛ لذلك فقد أعطى بترتيبه المنظم والوحياتي جميع آيات تلك السورة روحاً عامّةً وجهةً واحدةً.

الدليل الثاني. حصر عدّة آيات في عنوان الـ «سورة»

يضمّ القرآن ١١٤ سورةً، وهذا إجماعيّ. مع الأخذ بعين الاعتبار المعنى اللغويّ للسورة المأخوذ من «سُور» بمعنى الجدار المرتفع، فإنّ كلّ سورةٍ من سُور القرآن كالجدار، ضمّت مجموعة من الآيات وضرب حولها سور يحيط بها. وقد جاء استيحاء هذه التسمية من القرآن نفسه حيث سُمّي مجموعة من الآيات بالسورة. الجدير بالذكر أنّ هذه التسمية لم تكن معهودة إلى وقت نزول القرآن، واستخدمت كلمة «سور» في القرآن بمعنى الجدار: ﴿فَضْرِبْ تَيْمَمَهُمْ بِسُورِلَهُ﴾^١.

إحدى الحكم والأدلة لحصر الآيات في سورة واحدة، هي أنّ السور هادفة متّجهة (ذات جهة و منحى)؛ حيث بانتهاء ذلك الهدف تنتهي السورة أيضاً، ويرافق ذلك اختلافاً في عدد آيات السُور. الجدير بالذكر أنّ بناء السورة، وترتيب آياتها وعددها، مناسبة ومتناسقة مع هدف السورة ومنحاهما الإرشاديّ.^٢

كتب العلامة الطباطبائي:

إنّه سبحانه كرّر ذكر السورة في كلامه كثيراً، كقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِيسُورَةٌ مِّثْلِهِ﴾^٣ وقوله: ﴿فَأُولَئِيسُورَةٌ مِّثْلِهِ﴾^٣

١. سورة الحديد، الآية ١٣.

٢. انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٦.

٣. سورة يونس، الآية ٣٨.

بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴿١﴾ وقوله: ﴿إِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ ٢، وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ ٣، فبان لنا من ذلك: أنّ لكلّ طائفة من هذه الطوائف من كلامه التي فصلها قطعاً قطعاً، وسمّي كلّ قطعة سورةً نوعاً من وحدة التأليف والتمام، لا يوجد بين أبعاض من سورة، و لا بين سورة و سورة، ومن هنا نعلم: أنّ الأغراض والمقاصد المحصّلة من السُّور مختلفة، وأنّ كلّ واحدة منها، مسوّقة لبيان معنى خاصّ ولغرض محصّل لا تتمّ السورة إلا بتمامه، وعلى هذا، فالبسمة في مُبتدأ كلّ سورة راجعة إلى الغرض الخاصّ من تلك السورة. ٤

لا ننسى أنّ وحدة الهدف والجهة في كلّ سورة لا يتعارض مع تعدّد مواضيع السورة؛ بل إنّ البيت القصيد في هذه النظرة أنّه يوجد ارتباط منطقيّ وإرشاديّ بين ما ورد في سورة واحدة من المواضيع التي تبدو في الظاهر متفرقة وغير متناسقة. هذا الهدف الذي يُعدّ الروح الأصلية والسائدة في تلك السورة، تحيط بتلك المواضيع المتفرقة، وتنسّقها مع بعضها البعض. وبالتالي، فإنّ الاعتراف بالبناء في السورة - دون أن يُخرِج القرآن الكريم عن نهجه وأسلوبه المتميّز - خطوة هامة نحو فهم مقاصد القرآن وإدراك معارف وحقائق جديدة، ويستعرض الانسجام الداخليّ للسورة.

الدليل الثالث. بيان غرض خاصّ لسورة واحدة

يدلّ إدراج مضمون سورة واحدة تحت عنوان واحد، على أنّ مواضيع السورة مرتبطة بهذا العنوان بطريقة ما، وتخدمه، وهذا العنوان هو مركز السورة؛ لذلك فإنّ جميع مواضيع السورة جاءت لتسليط الأضواء على ذلك العنوان، كما يقول: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ

١. سورة هود، الآية ١٣.

٢. سورة التوبة، الآية ٨٦.

٣. سورة النور، الآية ١.

٤. انظر: الميزان، ج ١، ص ١٦.

رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَعْمُكَ مَعَ الْفَاعِلِينَ^١ يقول في الآية: «السورة التي تقول آمنوا بالله وجاهدوا» ولم يقل: «السورة التي ذكر فيها الجهاد والإيمان» إذًا من الجليّ البين أنّ لكلّ سورة محورًا مشتركًا، وتشرحه آياتها المنظمة والمرتبّة.

الجدير بالذكر أنّه في بعض الآيات الأخرى التي وردت فيها كلمة السورة، قد جاء فيها ما يشابه تلك العبارة، ونضرب الذكر صفحًا عنها.

الدليل الرابع. الروايات التي تبين خواصّ السُور، وفضائلها

إنّ الروايات التي تحدّثت عن فضائل السُور وخواصّها، تُعدّ دليلًا آخرَ على بناء الآيات والنظم الهادف بينها.

هذه الأحاديث ثلاثة أنواع: النوع الأوّل، يذكر خواصّ للقرآن كلّّه؛ والمجموعة أخرى تتحدّث عن الآيات، والمجموعة الثالثة وهي كثيرة، لكنّها تعدّد آثارًا وخواصّ لجميع السُور. على الرغم من ضعف بعض الروايات؛ إلا أنّ الأحاديث الصحيحة ليست قليلة في هذا المجال، كما يمكن بهذه الأحاديث الاستدلال على البناء الهادف في كلّ سورة.

وبالتالي إذا كان لسورة ما أثر وميزة، ليس بسبب آياتها، ولا من حيث مجموعة الآيات؛ بل لأنّها سورة، فلا بدّ من علاقة ونظم بين أجزائها، حتى تخلق خواصّ وآثارًا جديدةً، وإلاّ فإنّه لا يُعثر من الآيات المتفرّقة وعديمة الارتباط، على أثر وخاصيّة واحدة؛ كذلك ليس لمجموع الآيات أثر منفصل عن مفرداته إلاّ إذا كانت الهويّة الجماعيّة للآيات (السورة)، منفصلةً عن هويّتها الفرديّة والمجموعيّة.

إنّ علاقة فضائل السُور وخواصّها مع التنسيق والنظم في السورة قريبة لدرجة أنّ البعض قد سعوا في ضوء الاهتمام بفضائل السُور، التعرّف على نظمها وغرضها؛ كما استفاد صاحب تفسير «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُور» من أجل إدراك نظم بعض السُور.^٢

١. سورة التوبة، الآية ٨٦.

٢. إبراهيم بن عمر البقاعي، تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسُور، ج ٢٠، ص ٢١٦.



٦. القرآن كتاب منسق

للقرآن الكريم مبدأ، ونصّ وغاية توحيدية. والمبدأ توحيدية؛ لأنه كلام الله الواحد. فالتوحيد خلاصة القرآن؛ وعليه فإنّ نصّه توحيدية، والقرآن بكلّ معارفه العقائدية والفقهية والأخلاقية السامية هو شرح التوحيد؛ إذا غاية القرآن توحيدية أيضاً، لأنه يريد أن يصير الإنسان إلهياً، ويوصله إلى الله الواحد.

إنّ النظرة التوحيدية للقرآن الكريم تزيل شائبة أيّ تنافر واختلاف؛ لأنّ الاختلاف والتنافر ناتجان عن التعدّد أو عدم الكفاءة، وأيّ من هذين الوصفين غير مقبول حول مبدأ القرآن ونصّه وغايته.

إنّ التأمل في مضمون آيات القرآن، يُظهر هذه الحقيقة التي مفادها أنّ معارف آياته ومقاصدها ليست خالية من أيّ تعارضٍ وتداخُلٍ فيما بينها، ومصنونة من أيّ اختلافٍ فحسب؛ بل إنّ كلّ ما يتناوله القرآن، مثل المعارف المتعلقة بالأرض والزمان والسماء و..، بمثابة حبات المسبحة التي نُظِّمَتْ؛ إذا إنّ الانسجام المضموني لهذا الكتاب الإلهي، لا يقبل الطعن.

أسباب نفي التناقض في القرآن

في هذا القسم، سنلقي نظرةً عابرةً في بعض الآيات و الروايات التي تنفي التناقض و الاختلاف في القرآن الكريم:

أ. الأدلّة القرآنية

الآية الأولى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١.

يصرّح الله تعالى في هذه الآية على أنّ الاختلاف في القرآن سيوجد عندما يكون صدوره غير إلهي، في غير هذه الحالة لن يكون فيه أيّ تناقضٍ. ومن جهة لا يخفى أنّ القرآن ليس مكتوباً بيد

١. سورة النساء، الآية ٨٢.

البشر، وهو كلام إلهي؛ إذ لا اختلاف فيه:

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذْ آلَا رَبَّاتِ الْبُطُورِ ﴾^١.

كتب العلامة الطباطبائي في إيضاح قيد ﴿ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾:

﴿ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ فالوصف وصف توضيحي لا احترازي، والمعنى: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا، وكان ذلك الاختلاف كثيرًا على حدّ الاختلاف الكثير الذي في كلّ ما هو من عند غير الله، وليس المعنى أنّ المرفوع من القرآن هو الاختلاف الكثير دون اليسير. ما من إنسان إلا وهو يرى كلّ يوم أنّه أعقل من أمس، وأنّ ما يُشوّهُ من عملٍ أو صنعةٍ أو ما أشبه ذلك، أو يدبّره من رأيٍ أو نظرٍ أو نحوهما أخيرًا، أحكم وأمّث مما أتى به أولاً حتّى العمل الواحد الذي فيه شئ من الامتداد الوجودي كالكتاب يكتبه الكاتب، والشعر يقوله الشاعر، والخطبة يخطبها الخطيب، وهكذا يوجد عند الإمعان آخره خيرًا من أوله، وبعضه أفضل من بعض.^٢

الآية الثانية:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^٣:

كتب العلامة الطباطبائي في الاستدلال بهذه الآية على انعدام الاختلاف في القرآن: ووقوع ﴿عوجًا﴾ وهو نكرة في سياق النفي يفيد العموم، فالقرآن مستقيم في جميع جهاته، فصيح في لفظه، بليغ في معناه، مصيب في هدايته، حيّ في حججه وبراهينه، ناصح في أمره ونهيّه، صادق فيما يقصّه من قصصه وأخباره، فاصل فيما يقضي به، محفوظ من مخالطة الشياطين، لا اختلاف فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.^٤

١. سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

٢. انظر: الميزان، ج ٥، ص ٢٠.

٣. سورة الكهف، الآية ١.

٤. انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ٢٣٧.



و يرى الراغب الأصفهاني أنّ هناك فرقاً بين «العَوَج» و «العِوَج» حيث كتب: والعَوَجُ يقال فيما يُدْرِكُ بالبصر سهلاً كالخشب المنتصب ونحوه. و العِوَجُ يقال فيما يُدْرِكُ بالفكر و البصيرة.^١

الجدير بالذكر أنّ الله تعالى في الآية المذكورة^٢ ينفي الانحراف عن القرآن الكريم بكلمة «عَوَج» لِيُفْهِمَ أَنَّهُ لَا يُرَى أَيَّ اخْتِلَافٍ مَهْمَا دَقَّ، و ليس له سبيل إلى القرآن، فكيف بالاختلاف الظاهريّ و السطحيّ الذي يُدْرِكُ بالحواسّ. كما أنّ مجيئ هذه الكلمة نكرةً ينفي أيّ انحراف.

الآية الثالثة:

﴿اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾^٣.

يصرّح الله تعالى في هذه الآية أنّ جميع آيات القرآن متشابهة و من سنخ واحد؛ و من الواضح أنّ الكتاب الذي ليس فيه اختلاف بسيط بين أجزائه، لا يمكن أن تكون جميع آياته متشابهة.

كتب العلامة الطباطبائيّ ذيل ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾:

أي يشبه بعض أجزاءه بعضاً، وهذا غير التشابه الذي في المتشابه المقابل للمحكم، فإنّه صفة بعض آيات الكتاب، وهذا صفة الجميع. وقوله: ﴿مَثَانِي﴾ جمع مثنية بمعنى المعطوف لانعطاف بعض آياته على بعض، ورجوعه إليه بتبيّن بعضها ببعض، و تفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها، بحيث يدفع بعضه بعضاً، و يناقضه.^٤

الآية الرابعة:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^٥.

١. الراغب الأصفهانيّ، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٩٢.

٢. سورة الزمر، الآية ٢٨: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

٣. سورة الزمر، الآية ٢٣.

٤. انظر: الميزان ج ١٧، ص ٢٥٦.

٥. سورة فصلت، الآية ٤٢.

كلمة الباطل مقابل الحق، وتشمل كلّ موضوع و كلام غير ثابت^١؛ وبالتالي فإنّ الاختلاف والتناقض يقعان في نطاق الباطل، وبهذه الآية الشريفة ينتفي كلّ باطلٍ عن القرآن.

كتب الألوسيّ في تفسير هذه الآية:

﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ صفة أخرى لكتاب، وما بين يديه وما خلفه كناية عن جميع الجهات كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله أي لا يتطرق إليه الباطل من جميع جهاته.^٢ كذلك كتب العلامة:

مضمون الآية أنّه لا يوجد تناقض لا في مضمون الآيات، ولا كذب في الأخبار الواردة، و لا بطلان في معارفه وأحكامه وشرائعه وحكمه، ولا يوجد أيّ تعارض مع شيء.^٣ نعم، من الممكن أن ترى العقول الناقصة والأفهام القاصرة بعض الآيات متناقضةً، لكن هذا التناقض الظاهريّ يزول بتأمل قليل.

ب. الأدلة الروائية:

كان المعصومون عليهم السلام يواجهون المزاعم الواهية حول تعارض القرآن فيتعاملون معها. إنّ عبارات مثل «مهلاً» و «تكلتكَ أمك» في الأحاديث موجّهة إلى الذين كانوا يفوهون بهذا الزعم، تكشف الستار عن كيفة تعاملهم.

الحديث الأول:

ينقل ابن كثير في تفسيره بعد رفضه أيّ تناقضٍ في القرآن الكريم، تأييداً لكلامه ما يلي:
وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على باب من أبوابه، فكهرهنا أن نُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَجَلَسْنَا حَجْرَهُ إِذْ ذَكَرُوا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ فَتَمَارَوْا فِيهَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ

١. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٢٩.

٢. سيّد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج ١٢، ص ٣٧٨.

٣. انظر: الميزان، ج ١٧، ص ٣٩٨.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْضَبًا حَتَّى احْمَرَ وَجْهُهُ .. وَيَقُولُ:

﴿مَهْلًا يَا قَوْمَ، بِهَذَا أَهْلَكْتَ الْأُمَّةَ مِنْ قَبْلِكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَضَرْبِهِمِ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ يَكْذِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، إِنَّمَا نَزَلَ يَصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا...﴾^١

لقد اعتبر الرسول ﷺ في هذا الحديث ضرب القرآن بعضه ببعض، والعتور على التناقضات والاختلافات عبر هذا الطريق سببًا في هلاك الأمم الماضية، فهى الأصحاب عن هذا العمل.

كذلك يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

﴿يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ﴾^٢

الرواية الثانية:

ينقل العلامة المجلسي هذا الحديث في احتجاجات الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن إبراهيم بن الفرات الكوفي صاحب تفسير فرات الكوفي:

أَنَّ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيَّ كَانَ فَيْلَسُوفَ الْعِرَاقِ فِي زَمَانِهِ، أَخَذَ فِي تَأْلِيفِ "تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ" وَشَغَلَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَتَفَرَّدَ بِهِ فِي مَنْزِلِهِ، وَأَنَّ بَعْضَ تَلَامِذْتِهِ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: أَمَا فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَزِدُّكُمْ أَسْتَاذَكُمْ الْكِنْدِيَّ عَمَّا أَخَذَ فِيهِ مِنْ تَشَاغُلِهِ بِالْقُرْآنِ [ضرب القرآن بعضه ببعض]؟ فَقَالَ التَّلْمِيذُ: نَحْنُ مِنْ تَلَامِذْتِهِ، كَيْفَ يَجُوزُ مِنَّا الْإِعْتِرَاضُ عَلَيْهِ فِي هَذَا، أَوْ فِي غَيْرِهِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: أَمْ تُؤَدِّي إِلَيْهِ مَا أَلْقِيَهُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَصِرْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ فِي مُؤَانَسَتِهِ وَمَعُونَتِهِ عَلَى مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ، فَإِذَا وَقَعَتِ الْمُؤَانَسَةُ فِي ذَلِكَ، فَقُلْ: قَدْ حَضَرْتَنِي مَسْأَلَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا، فَإِنَّهُ يَسْتَدْعِي ذَلِكَ مِنْكَ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَتَاكَ هَذَا

١. إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٣٢٢.

٢. السيد الرضي، نوح البلاغة، الخطبة ١٣٣، ص ١٩٤.

الْمُتَكَلِّمُ هَذَا الْقُرْآنَ، هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْهُ غَيْرَ الْمَعَانِي الَّتِي قَدْ ظَنَنْتَهَا أَنَّكَ ذَهَبْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ: إِنَّهُ مِنَ الْجَائِزِ؛ لِأَنَّهُ رَجُلٌ يَفْهَمُ إِذَا سَمِعَ، فَإِذَا أُوجِبَ ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُ: فَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ قَدْ أَرَادَ غَيْرَ الَّذِي ذَهَبْتَ أَنْتَ إِلَيْهِ، فَتَكُونُ وَاضِعًا لِعَبْرٍ مَعَانِيهِ، فَصَارَ الرَّجُلُ إِلَى الْكِنْدِيِّ، وَتَلَطَّفَ إِلَى أَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، فَقَالَ لَهُ أَعَدَّ عَلَيَّ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَتَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ، وَرَأَى ذَلِكَ مُحْتَمِلًا فِي اللَّعْنَةِ، وَسَائِعًا فِي النَّظَرِ.^١

لقد كان استدلال الإمام قويا ومؤثرا، بحيث ينقل ابن شهر آشوب عن لسان الكندي:
 ﴿مَا كَانَ لِيُخْرِجَ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بِالنَّارِ، وَأَحْرَقَ جَمِيعَ مَا كَانَ أَلْفَهُ﴾^٢

٧. نظم الهداية في القرآن

ليس للقرآن نظم تعليمي، و لا نظم بحثي، بل يتمتع ببناء خاص بالهداية: ﴿هُدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾^٣، ﴿هُدَى لِلنَّاسِ﴾^٤ لأنه كتاب الحياة، ويتعامل مع جميع جوانب روح الفرد والمجتمع الإنساني. إنَّ نظم الهداية في القرآن يقتضي أن يشرح مواضيعه أحيانا دون مراعاة المبادئ المعتادة في التقسيم، والنظم المعهود في الكتب العلمية؛ لأنه يجب في نظم الهداية مراعاة الحاجات الروحية و ردود الفعل العملية للمخاطب، وتقديم مواضيع تتناسب مع ذلك، على عكس البناء العلمي الذي يُنظَّم وفق متطلبات الموضوع.

لقد مزج القرآن العقائد والأخلاقيات والمواضيع الفقهية بالنظر إلى التأثير الإرشادي في المخاطب وبينها، ولم يخصص لكل واحد من هذه المواضيع قسما أو فصلا مستقلا؛ وإن كان بالإمكان وجدان تلك المواضيع عبر نظرة الأصل والفرع في موضوعات كل سورة من القرآن الكريم.

١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٩٢.

٢. ابن شهر آشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب (ع) ج ٤، ص ٤٢٤.

٣. سورة البقرة، الآية ٢.

٤. نفس الآية، الآية ١٨٥.



إذا كان المتدبر، يتوقّع من القرآن الكريم النظم والبناء المعهود في الكتب العلميّة فإنّه سيحصل مرارًا على نتائج خاطئة، لكنّه إذا آمن بكون نظم القرآن نظّم هداية، فإنّه سيتبع حكمته الهادية، بدل رؤية الاختلافات الظاهريّة بين القرآن والنظم البشريّ المعهود.

ثالثاً. مبادئ استكشاف الجهة:

١. الاهتمام بأركان الجملة، واستكشاف الجهة

إنّ الفهم الصحيح لجهة الجملة أو السياق في التدبر، يحتاج إلى تعاضد جميع متغيّراته؛ على سبيل المثال، لا يمكن في استكشاف الجهة الاكتفاء بألفاظ الآية وقواعدها الأدبيّة، أو تعليق الآمال مثلاً على معنى الجملة ومضمونها؛ لا يهدي أيّ من هذين الأمرين (اللفظ، والمعنى) بوحده المتدبر إلى جهة الجمل والسياق القرآنيّ؛ بل من أجل استكشاف الجهة يجب ملاحظة كل الأركان الأساسيّة الأربعة في الجملة، وهي اللفظ، والمضمون، والهدف، والمعنى؛ مثل ما يُعترّ عليه من اسميّة الجملة أو فعليّتها، خبريّتها أو إنشائيّتها، وألفاظها وما إلى ذلك من الخصائص. كما أنّ الاهتمام بمضمون الجملة وهدفها يحظى بأهميّة قصوى. فمن جهة ينبغي لنا أن نحترم المعنى الظاهريّ لكلّ جملة، وأن لا نتنازل عنه دون سبب.

٢. تكرار الكلمات والجمل، ومكانته في استكشاف الجهة

في بعض السياقات القرآنيّة أو سور القرآن تكرّرت الكلمة أو الجملة. من أجل استكشاف الجهة في هذه السياقات، كذلك لا يمكن الاكتفاء بمعنى هذه الكلمات والجمل المكرّرة ومفهومها، ومن ثمّ استكشاف جهة السياق، ولكن لا يمكن أيضاً التغاضي عن التكرار؛ لأنّ تكرار الكلمات والجمل في سياق واحد أيضاً قرينة يمكن أن تساعد المتدبر في استكشاف الجهة العامّة للآيات؛ مثل تكرار هذه الآية ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّات في سورة «المرسلات»، وتكرار الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ واحدة وثلاثين مرّة في سورة «الرحمن» حيث يؤدّي هذا الأمر دوراً كبيراً في استكشاف جهة هاتين السورتين.

٣. صدر الكلام أصل الكلام

يمكن بالنظر إلى سياق بداية السورة والتدقيق في آياتها الأولى، التعرّف على الجهة العامة التي تتبعها السورة؛ لأنّ الموضوع الأساس والجذريّ يأتي في بداية كلّ مقال، وفيما بعد يأتي تفصيل ذلك. بالطبع هذه القاعدة ليست عامة، ولا يمكن تطبيقها على جميع سور القرآن؛ لأنّ المتكلم يحتاج في بعض الحالات إلى مقدّمة كي يتناول صلب الموضوع؛ والقرآن أيضاً ليس بمسثنى عمّا سبق.

يُعبّر عمّا ذكرنا بقاعدة «صدرالكلام، أصلالكلام» وكما أسلفنا، فإن هذه القاعدة دليل وقرينة من شأنه أن يعين المتدبر على استكشاف جهة السور، وليس يعني أنّه يمكن الاكتفاء بالآيات الأولى والسياق الأوّليّ من أجل استكشاف جهة السورة.

٤. علاقة بداية السورة بنهايتها، وتحديد الجهة

إحدى القواعد الأخرى التي من شأنها أن تساعد على استكشاف جهة السور هي العلاقة بين بداية السورة ونهايتها، حيث توجد علاقة وتناسق بينهما في الكثير من سور القرآن. على سبيل المثال دار الحديث في بداية سورة البقرة ونهايتها، عن «المتقين» و«المؤمنين» و«إيمانهم الجماعي بالحقائق الإلهية»، وفي سورة القيامة أيضاً أُشيرت إلى «شبهة الإنسان حول المعاد وعدم وقوع القيامة».

٥. غرر الآيات والمظاهر العرفيّة، وتأثيرها في محوريّة السورة

تخطى بعض الآيات في القرآن بأهمية خاصّة؛ لأنّ لها ظهوراً وتألّفاً خاصاً، وتبيّن مبادئ و مواضيع أساسيّة مثل موضوع المبدأ، والمعاد، والتوحيد و..؛ يُعبّر عن هذه الآيات بـ «غرر الآيات»؛ لأنّ هذه الآيات ليست واضحة بوحدها فحسب؛ بل إنّها توضّح أيضاً الكثير من الآيات الأخرى، مثل الآيات المحكمة والمفتاحيّة في موضوع التوحيد، والتي تتّضح بها الآيات المتشابهة. في أيّ سورة من القرآن وُجِدَتْ غرر الآيات، أثّرت من جهة في محوريّة تلك السورة وإبرازها، ومن جهة أخرى ساعدت المتدبر على استكشاف جهة تلك السورة.

٦. نظرة إجمال إلى التفصيل

إن للقرآن في عرض المواضيع المختلفة مثل مصير الأقسام، وقصص الأنبياء، والقصص الأخلاقية والاحكام، أسلوب الإجمال إلى التفصيل؛ فالله يشير إلى الموضوع إشارة إجمالية في أول الأمر، ثم إذا اقتضت الحاجة، يتناول ذلك بالتفصيل؛ لا أن يفصل في الخطوة الأولى ومن ثمّ يقوم بالتخليص.

من الأدوات الهامة لمعرفة جهة السورة، الاهتمام بهذا الأسلوب القرآني الذي يُعتبر من قواعد التدبر؛ لأنّ المتدبر يُدفع إلى أن ينظر إلى صدر الآيات وذيلها معاً، ويدرك أنّ القرآن يزيح الستار عن ذلك الإجمال الأوّلي، وأنّه سيوضح الموضوع، لكن إذا تغاضى عن هذا الأسلوب، فإنه يرى الآيات الجملة مستقلة عن الآيات التالية، و لا يحصل على فهم صحيح لآيات القرآن و رؤيته.

٧. دراسة الآيات المركزية واستكشاف الجهة

إنّ وجدان الآيات المركزية ودراستها يساعدان أيضاً على فهم أدقّ لجهة السورة أو سياقها. فالآية المركزية تُعدّ أصلاً مقارنة بالآيات الأخرى، والآيات الأخرى تعود إليها؛ مثل الآية الأولى من سورة الفلق، حيث إنّ جميع آياتها تتعلّق بالفعل «أعوذ» في الآية الأولى من السورة، والآية الأولى ابتدأت بباء الجازة، والآيات الأربعة التالية بـ «من» الجازة فيبدايتها، وذلك سبب هذه العلاقة. بفضل النظر في الفعل «أعوذ» الذي له دور مركزيّ في هذه السورة، يمكن التفتّن لجهة سورة الفلق.

رابعاً. استكشاف الجهة؛ أسلوب ونموذج:

إنّ الانسجام السباقيّ والسياقيّ والمقارن، والنظرة التكاملية والإرشادية إلى الآيات والمجموعات ومسار مشتركات النصّ هي السبيل إلى جهة النصّ، وأساسها جميعاً ألفاظ النصّ، ونطاقها هو النصّ كلّ. كما أنّ أسلوب استكشاف الجهة يحتاج إلى القراءة ثلاث مرّات: بالقراءة الأولى يتكوّن في الذهن تصوّر عن الجهة، في الخطوة الثانية يتمّ تصحيح التصوّر



الذهني، وفي النهاية في القراءة الثالثة يتم تصديق الجهة.
الجدير بالذكر أنّ القراءات المتكررة تأتي بعد التمكن من قواعد استكشاف الجهة ومبادئه.
من جهة أخرى تساعد القراءة المتكررة من خلال نظرة إجمالية، المتدبر على استكشاف البناء
الداخلي للآيات، وعلاقة كل آية مع الآيات الأخرى.

خطوات نحو الفهم السياقي لاستكشاف جهة الهداية

الخطوة الأولى. فهم المفردات: لكي نستطيع الربط بين المفردات، فلا بدّ أولاً من فهم
معناها.

من أجل فهم معنى كلمة ما، يمكن الاستفادة من عدّة أمور:

الأول. مادّة الكلمة (علم اللغة)

الثاني. هيئة الكلمة (علم الصرف)

الثالث. الضمائم المتصلة والمنفصلة (علم النحو)

الخطوة الثانية. فهم علاقة الكلمات: بعد فهم معاني المفردات، تأتي معرفة العلاقة بين
المفردات، وتكوين الجمل، الأمر الذي يحتاج إلى دراسة شيئين: الأركان والمتعلقات. الأركان
مثل: الفعل، والفاعل، والمبتدأ والخبر. المتعلقات مثل: المفعول، والحال، والاستثناء والتمييز.

في هذا السياق، تساعد النظرة الدقيقة إلى إعراب الكلمات، المتدبر على معرفة العلاقة بين
المفردات. كذلك يمكن في هذه الخطوة - إذا استدعت الحاجة - الانتفاع بعلم المعاني والبيان؛
فالتأكيد بـ (إنّ)، والحصر بـ (إنّما) وما إلى ذلك تمثل آليات للوصول الأمثل إلى علاقة
الكلمات.

الخطوة الثالثة. فهم علاقة الجمل: تارة يُشار إلى العلاقة بين الجمل بأداة كحرف

العطف مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث تترابطان بحرف «الواو»؛ تارة أخرى يجب كشف
العلاقة أيضاً.



إنّ الجمل داخل الآية ستكون مترابطة بالتأكيد، إضافة إلى ذلك فإنّ الإتيان بهذه الجمل متجاوزة لن يخلو من سرّ وحكمة، إذا قال أحد: فيه حكمة؛ لكننا لا ندرکها، فنقول: مثل هذه الحكمة التي لا ندرکها بمثابة عدم الحكمة؛ لأنّ القرآن في بطنه الأوّل أي ظواهر ألفاظه، يجب أن يكون مفهومًا للعامة؛ لذلك إذا كان هناك حكمة، فيجب أن تكون كذلك.

من جهة يجب لأجل كشف العلاقة، الاهتمام بسياق الآيات والجمل؛ لأنه يمكن معرفة العلاقة بدراسة السياق وموضوع الجمل السابقة واللاحقة للجمل المعنيّة.^١

إنّ للعلاقة بين الجمل أنواعًا. فالتعليل، والتمثيل، والتعميم، والتبيين، والتفريع، والتقوية والتطبيق هي بعض تلك الأنواع. سنوضح كلّ نوع بعرض نماذج من الآيات لفهم أمثل.

التعليل: جملة تبيّن العلة للجمل السابقة؛ مثل: الآية ١ و ٢ من سورة عبس المباركة، حيث يقول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وجملة ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ تعليل للجمل السابقة؛ إن علة عبس هذا الشخص وتولّيه هو مجئ شخص أعمى إليه.

التفريع: كون جملة متفرعة عن الجمل السابقة ونتيجتها. مثل الآيات ٦ و ٧ من سورة الزلزال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^٢ فالآية ٧ تبيّن نتيجة الآية ٦، وفي اصطلاح علم النحو تفرّعت من تلك الجمل.

التفسير: أن تكون جملة تفسيرًا و توضيحًا للجمل أو الجمل السابقة؛ مثل الآية ١٣ من سورة الشورى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ فجملة ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ تفسير لجملة ﴿مَا وَصَّيْنَا﴾.

التعميم: أن تكون علاقة الجمل بالجمل السابقة علاقة التعميم بعد التخصيص؛ مثل

١. إنّ مراجعة تفسير الميزان سيسهّل العمل، وسيكون أكثر فائدة. فقد أشار المؤلف إلى علاقة جمل الآية ببعضها.

٢. الزلزال، الآية ٦ و ٧.

الآيات ٥ و ٦ من سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَا هَازِجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦)﴾ ففي الآية الخامسة جعل عذاب السعير خصيصاً للشياطين، ثم عمم ذلك، حيث تعتبر الآية السادسة العذاب شاملاً لجميع الكفار، لذلك فإنّ جملة ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لها حكم التعميم.

التبيين: بدايةً يُعرض الموضوع إجمالاً، ثم يبيّنها في الجمل التالية، مثل آيات سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (٣) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣)﴾ فالآية الأولى تتحدّث بالإجمال عن أصحاب الفيل والبلاء الذي نزل بهم، ومن الآية الثانية وما بعدها يتناول شرح هذه الحادثة.

التمثيل: كون جملةً تمثيلاً للجملة السابقة؛ مثل: الآيات ٤٢ و ٤٦ من سورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا (٤٢)﴾؛ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى (٤٦)﴾ فالآية السادسة والأربعون أجابت عن الثانية والأربعين بتمثيل واحد.

التطبيق: أن تقوم جملة بتطبيق موضوع الجملة السابقة على عنوان خاص، مثل الآيات ١ و ٢ من سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾؛ ﴿قَوْلًا لِلْمُصَلِّينِ﴾ فالآية ٤ تشير إلى شخص كذب الدين عملياً، وتطبّق ذلك على «المصلّين» بتلك الصفات الخاصّة. إنّ أجواء الآية في السورة يمكن أن تساعد أيضاً على فهم علاقة الجمل داخل آية واحدة. ويمكن في الآيات الكبرى أيضاً، أن يكون للجمل نفسها تقسيمٌ محدّد؛ حيث إنّ كشفها يساعد المتدبر على فهم آية ما فهماً أفضل.

استكشاف الجهة الإرشادية لسياق واحد

أحياناً تكون بين آيات سياق واحد، آية واحدة أو عدّة آيات أصلية وآيات أخرى فرعية. يجب لاستكشاف الجهة الإرشادية لهذا السياق اعتبار موضوع الآية الأصلية معياراً، ومن ثمّ الوصول إلى جهة الإرشاد والهداية على أساسه؛ وأصالة الآية على عدّة أنواع:



١. القسم و جواب القسم: جاءت آية أو عدّة آيات على شكل القسم، والآية التالية جوابه؛ كآيات الأولى لسورة الشمس: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَالتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَ السَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَ الْأَرْضِ وَمَا طَّحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) ﴾.

لهذه الآيات سياق واحد. فالآيات الثمانية الأولى قسم، والآية التاسعة والعاشره جواب القسم. وكما أقرّ عرف العقلاء وأهل الأدب في كلّ لغة فإنّ جواب القسم يُعدُّ هو الأصل، إذا القسم مقدّمة وتأكيد لجواب القسم؛ لذلك وفي هذا السياق ونظراً لآييّ جواب القسم، يمكن معرفة الجهة الإرشادية لهذا السياق «الفلاح هو نتيجة تزكية النفس، والحسran والخبية نتيجة دفن المرآة الإلهية للنفس»^١.

٢. الشرط و جواب الشرط: إذا كانت آية أو آيات شرطاً وبقية الآية جوابه، فمن منظور القواعد العرفية والأدبية يكون أصل كلام المتكلم كامناً في جواب الشرط؛ لذلك يمكن معرفة جهة تلك الآيات من خلال الالتفات إلى جواب الشرط، كآيات الأولى من سورة التكوير: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجُبُحُيْمُ سُعِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخِضَتْ (١٤) ﴾

الآيات الثلاثة عشر الأولى، ماعدا الآية التاسعة التي هي مكملة للآية الثامنة، شرط و جميعها معطوفة على بعضها، وجميعها تبدأ بإذا الشرطية^٢، و«الآية الرابعة عشرة أيضاً هي جواب الشرط. هذه الآية تؤكد أنّ كلّ إنسانٍ سيطلّع في يوم القيامة على الأعمال التي أحضرها؛ إذاً يمكن معرفة

١. يجدر بالذكر أنّ الآيات التي تُسمّى فرعاً ههنا، وليس لها دورٌ في استكشاف الجهة، ستتمّ دراستها وتفسيرها ودورها الإرشاديّ في تفهّم النصّ الذي هو الخطوة الثالثة للتدبر، والأمر على هذا المنوال في الحالات التالية.

٢. في الأدب العربيّ تُطلق على «إذا» هذه، الظرفية الشرطية؛ حيث تفيد معنى الظرف، ومعنى الشرط كليهما.



جهة هذه الآيات كما يلي: «التأكيد على علم الإنسان بأعماله في القيامة».

٣. الظرف والمظروف^١: من حيث القواعد الأدبية والسيرة العرفية والعقلانية، فإن المظروف هو أصل الكلام، والظرف مقدّمة ذلك، حتى تتوفر الأرضية لبيان الحادث الواقع في ظرف خاصّ من الزمان والمكان؛ لذلك في الآيات التي لديها أسلوب الظرف والمظروف فإن الجهة تأتي من المظروف؛ مثل الآيات ٣٣ حتى ٣٧ من سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾.

فالآية السابعة والثلاثون مظروف للآيات الثلاثة السابقة. كما أنّ الآيتين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين معطوفتان على الآية الرابعة والثلاثين، وتعتبران استمراراً لها؛ لذلك يمكن وجدان جهة هذه الآيات في الآية السابعة والثلاثين فقط: «في يوم القيامة لا يهتمّ الإنسان بشيء أو بأحد إلا نفسه».

٤. التفرّيع (الاستنتاج): أحد أقسام «الفاء» في اللغة العربية هو التفرّيع، والذي يُسمّى النتيجة أيضاً. أحياناً تتحدّث عدّة آيات عن موضوع واحد؛ فتستخدم «فاء» التفرّيع في الاستنتاج من هذا الموضوع، ويُبيّن أصل الموضوع. يمكن معرفة جهة النصّ بالاستعانة بالموضوع الذي جاء بعد الفاء.^٢ مثل سورة الزلزال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيَرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٨)﴾.

«الفاء» في بداية الآية السابعة للتفرّيع، والآيتان الأخيرتان من السورة هما نتيجة آيات هذه السورة. بالنظر إلى هاتين الآيتين، نحصل على الجهة الإرشادية لسورة الزلزال: «الاهتمام

١ . الظرف إمّا ظرف زمان أو مكان، حيث يقع فيه شيء، والمظروف هو الشيء الذي يقع في ذلك المكان أو الزمان.
٢ . لقد أشار العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إلى هذا الموضوع عدة مرات بعبارة «تفرّيع على ما تقدّم». انظر: الميزان ج ٤، ص ٤١٨؛ ج ٧، ص ١٧٣، ٣٢٧؛ ج ٨، ص ٢٨٤ و...



بملاحظة أصغر الأعمال في يوم القيامة».

في سياق الأمثلة التي مرّت، كانت هناك آية تمثل الأصل، وبقية الآيات الفرع، وبالنظر إلى الآيات الأصلية عُرفت الجهة الإرشادية. إذاً إن لم يمكن العثور على هذه العلاقة في سياق، فإن الحصول على جهة السياق الإرشادية يحتاج إلى دراسة جميع الآيات. بعبارة أخرى، أحياناً تأتي آيات سورة ما في عرض بعضها، أو في طول بعضها، أو تأتي إحداها مكملّة للأخرى؛ في هذه الحالة ومن أجل معرفة الجهة الإرشادية يكون لجميع آيات السياق استقلالاً موضوعي، و يتم فحصها ودراستها، بالطبع يمكن في سياق واحد أن يكون موضوع آية واحدة مستقلاً، و تكون عدّة آيات بعد ذلك مترابطة، وواحدة منها تكون أصلاً. كذلك يمكن ههنا الاكتفاء بالآية المستقلة والآية الأصلية للحصول على الجهة الإرشادية في ذلك السياق، ولا حاجة إلى فحص جميع الآيات. على سبيل المثال نشير إلى الآيات الأولى من سورة «ق»:

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجَّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَنْدَامَنَا وَكُنَّا نُرَآكَ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبَصَّرُوا وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ (١٤) أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾

هذه الآيات ثلاثة أقسام: ١ حتى ٥؛ ٦ حتى ١١؛ ١٢ حتى ١٥. ولا حاجة إلى دراسة جميع الآيات الخمسة عشر من أجل الحصول على جهة السياق؛ بل من بين الآيات الأولى حتى الخامسة يُدرّس جواب القسم فقط، وهو محذوف وهو كالتالي: «إنّ خبر الرسول ﷺ حول المعاد حقٌّ»؛ لذلك ترتبط الآيات من الثانية حتى الخامسة جميعها بجواب القسم؛ إذ أُشيرت إلى تعجّب الكفار من مجيء مُنذِرٍ من بينهم، والمعاد والبعث المجدّد. لذلك لا يُدرّس إلا

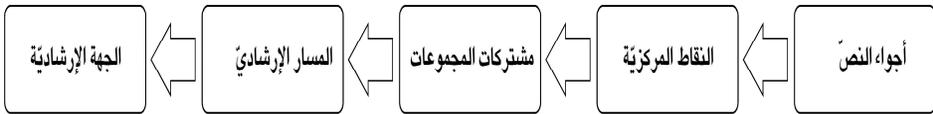
جواب القَسَم (أحقيّة المعاد)، عند العثور على جهة هذه الآيات.

من الآية السادسة حتى الحادية عشرة أيضًا يهتدي المتدبر إلى جهة هذه الآيات، بالتدقيق في نقطتين؛ أولًا: الآية الثامنة التي تقول بعد تعداد مظاهر القدرة الإلهية: ﴿تَبْصِرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ثانيًا: الآية الحادية عشرة حيث تقول: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾، كلٌّ من هاتين الآيتين تبيّن بطريقة ما، الجهة الإرشادية للآيات السابقة، ويمكن اعتبار جهة آيات هذه المجموعة كما يلي: «الاستدلال والاحتجاج حول القدرة الإلهية في إقامة المعاد».

في الآيات ١٢ حتى ١٥ أيضًا، لا حاجة إلى دراسة الآيات على حدة، بل بعبارة: ﴿كُلُّ كَذَّبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ في الآية الرابعة عشرة تتضح جهة هذه المجموعة من الآيات أيضًا: «لقد كذّبت أمم في الماضي رُسُلها، فحاق بهم العذاب الإلهي».

وبالتالي، فإنّ الجهة الإرشادية لهذه الآيات الخمسة عشر هي: «إثبات حَقائِق كلام الرسول ﷺ حول المعاد والاستدلال عليها، وتهديد المكذّبين بالعذاب».

إحدى الآيات التي تساعد المتدبر على الوصول إلى جهة النصّ هي أجواء السورة. حيث يمكن استكشاف النقطة أو النقاط المركزية للنصّ من خلال أجواء الحديث، وعبر النقاط المركزية يتمّ الوصول إلى المسار الإرشاديّ للنصّ، وفي الختام يتسنى استكشاف جهة النصّ الإرشادية من خلال متابعة المسار الإرشاديّ للنصّ. الجدير بالذكر أنّ أجواء الكلام تتمتع بدلالة التزامية واضحة تُؤخّذ من النصّ.



كيفية أخذ أجواء الكلام عن نصّ القرآن

يتمّ فهم «أجواء الكلام» من خلال تطبيق الجمل الخبرية مع الواقع، والذي يعبر عنه بصدق الكلام الإلهي، وكذلك تطبيق الجمل الإنشائية التي هي أوامر ونواهي، مع الحاجات،



والتي يعبر عنه بالحكمة الإلهية.

ولكي ندرك ما مرّ فهُمَّا أفضل، سنشير أولاً إلى أجواء نزول سورة «القلم» المباركة، ثم سنشرح طريقة معرفة أجوائها:

في بداية بعثة الرسول الأكرم ﷺ ونزول القرآن عليه، ظهرت أجواء مثقلة بالافتراء والتهم ضده (٢ و ٦ و ٥١) هذه التهم أثارَت إلى انزعاج رسول الإسلام الأكرم ﷺ وامتعاضة (١ حتى ٧) وكان المعارضون اعتماداً على ما بين أيديهم من الثروة والعِدَّة (١٤) يتصدّون لأداء رسالة الرسول ﷺ (١٠ حتى ١٣)، وحاولوا إرغام الرسول ﷺ وقسره على المساومة بخلق أجواء مليئة بالتهم ضده (٨ و ١٠)؛ هؤلاء الأشخاص الذين نظراً لسنة الاستدراج والإملاء (الإمهال) الإلهيتين - وهي عذاب من جانب الله - أصبحوا يمتلكون قوّة و ثروة هائلة (١٤)، (٤٤ و ٤٥) اعتبروا نعم الله عليهم دليلاً على تفضيلهم على المسلمين، و ابتلوا باعتقاد باطل، كانوا يظنون أنّ مكانتهم في القيامة أيضاً- مثل الدنيا- ستكون أفضل من المسلمين والمصدّقين بالرسول ﷺ أو أنّهم على الأقلّ مساوون لهم (٣٥ و ٣٦) لذلك كذبوا آيات القرآن (١٥ و ٤٤) واعتبروا من جاء بهذه الآيات مجنوناً (٥١) أعمالهم وتصرفاتهم المشينة هذه وعدم إيمانهم، قد استوجبت حزن الرسول الأكرم ﷺ وانزعاجه وردّة فعله (قرّر أن يدعو عليهم) (٤٨ حتى ٥٠)؛ في مثل هذه الأجواء نزلت هذه السورة من سماء الوحي لمواجهة هذه التهم والمعتقدات الباطلة في سياقات ثلاثة.

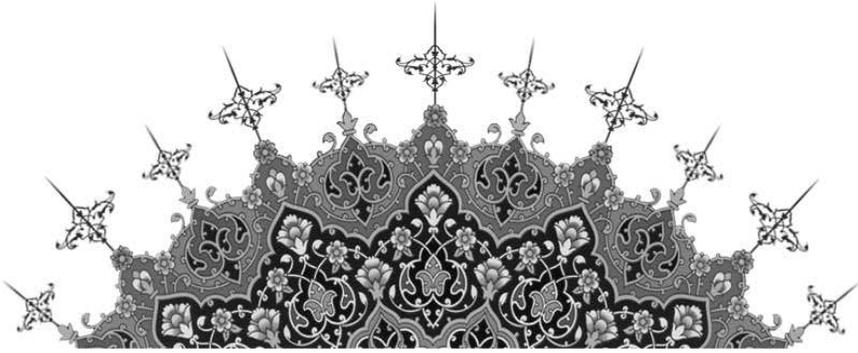
أضواء على مطابقة أجواء النزول لآيات سورة القلم:

من الآيات ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾، ﴿ بَايِعْهُمُ الْمُقْتُونَ ﴾ و ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ يتضح أنّ المشركين وصفوا الرسول ﷺ بالمجنون، وعكروا الأجواء ولوثوها بتوجيه الافتراء والتهم إليه ﷺ قبل نزول هذه السورة. كذلك يتبيّن أنّ هذه التهم قد ألمته، بالنظر إلى الآيات ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (١) ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بَايِعْهُمُ الْمُقْتُونَ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) التي تأتي في سياق التنفيس عن

الرسول ﷺ ومواساته.

و يُعْرَفُ بِالآيَاتِ ﴿ وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِخَيْرٍ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُنْتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) ﴾ أَنْ مَعَارِضِي الرَّسُولِ ﷺ كَانُوا يَجَاوِلُونَ اعْتِمَادًا عَلَى مَا لَهُمْ مِنَ الثَّرْوَةِ وَ كَثْرَةِ الْأَفْرَادِ عِرْقَلَةَ آدَاءِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَ كَذَلِكَ يَتَّضِحُ مِنْ مَضْمُونِ الْآيَتَيْنِ ﴿ فَلَا تُطْعُ الْكٰذِبِينَ ﴾ وَ ﴿ وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَهِينٍ ﴾ أَنَّ الْمَخَالِفِينَ مِنْ خِلَالَ خَلْقِ أَجْوَاءِ مَشْحُونَةِ بِالثَّهْمِ ضِدَّ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ حَاوَلُوا التَّأْثِيرَ فِي الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ وَ إِجْبَارَهُ فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ عَلَى مَسَاوَمَتِهِمْ وَ مَصَالِحَتِهِمْ.

وَ بَدْرَاسَةِ فِي الْآيَاتِ ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ وَ «فَدَّرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) ﴾ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ الْمَخَالِفِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ نَظْرًا لِسُنَّةِ الْاسْتِدْرَاجِ وَ الْإِمْلَاءِ الْإِلَهِيَّةِ - وَ هِيَ عَذَابٌ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ - أَصْبَحُوا تَدْرِجِيًّا يَمْتَلِكُونَ قُوَّةً وَ ثَرْوَةً كَبِيرَةً، وَ لَكِنْ عَلَى حَسَبِ مَضْمُونِ الْآيَتَيْنِ ﴿ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) ﴾ قَدْ انْحَرَفُوا، مُعْتَبِرِينَ أَنَّ نَعْمَ اللَّهِ هَذِهِ، دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لِذَلِكَ ظَنُّوا أَنَّ أَوْضَاعَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ أَيْضًا - مِثْلَ الدُّنْيَا - سَتَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ أَنَّهُمْ عَلَى الْأَقْلَى مَسَاوُونَ لِلْمُسْلِمِينَ، كَمَا يَتَّضِحُ بِالآيَتَيْنِ ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾، ﴿ فَدَّرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أَنَّهُمْ بِهَذَا الْفِكْرِ الْبَاطِلِ قَدْ كَذَّبُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ وَاصْفَيْنَ مِنْ جَاءِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ مَجْنُونًا: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمُجْتُونٌ ﴾. وَ فِي الْخِتَامِ تَوْضِحُ الْآيَاتِ: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنِّ كَصَاحِبِ الْخُبُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) ﴾ تَوْضِحُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ وَ تَصَرُّفَاتِهِمُ الْقَبِيحَةَ وَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ كَانَتْ قَدْ أَسْفَرَتْ عَنْ انْزِعَاجِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ وَ اسْتِيَاءِهِ، فَاسْتَبَعَتْ دَعَاةَ عَلَيْهِمُ.



التدبّر في سورة الليل



التعريف بالسورة

سورة الليل هي السورة الثانية والتسعون للقرآن الكريم، حيث تقع بعد سورة الشمس وقبل سورة الضحى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى (٤) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيَحْنَبُهَا الْأَتَقَى (١٧) الَّذِي يُوقِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

الخطوة الأولى: تفهّم الكلمات و الجملة الصعبة

يَغْشَى: يَعْطِي

تَجَلَّى (جلو): ظهر (ظهور شيء بعد الخفاء)

شَتَى: (جمع شتيت) متفرقة، مبعثرة

أعطى: منح، وهب

السعي: عمل يُؤدَّى ببالغ الاهتمام

اتقى (وقى): اتبع التقوى

صدق: أقر

حسنى: أحسن، أفضل (وهي صفة حلّت محل موصوفها) الوعد الجميل

سُنُسِر (نيسر): سُنْسَهْل

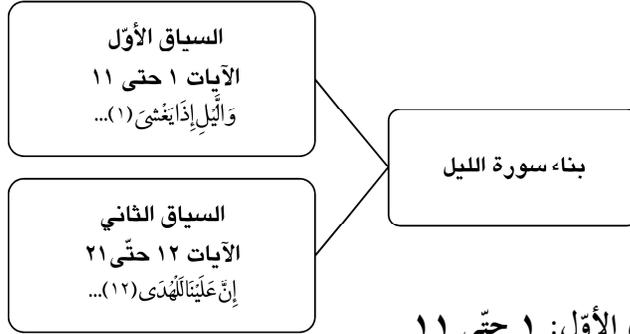
يُسْرَى: أسهل



مَن يَحُلْ: من قَتَرَ
 اسْتَغْنَى (غني): وجد نفسه غير محتاج
 عُسْرَى: أصعب
 تَرَدَّى (رذِي): هلك
 عَلَيْنَا: بعهدتنا
 أَنْذَرْتُ: حَدَّرْتُ
 نَارَاتَلَطَّى: نار بلا دخان تلتهب ألسنتها
 لَايَصَلَى (صَلَى): لا يبقى في النار
 أَشَقَى: الأكثر شقاءً
 تَوَلَّى: مال بوجهه
 سَيُجَنَّبُ (جَنَّبَ): سَيُنْعَدُّ
 الْأَتَقَى: الأكثر تقوى
 يُؤْتِي (أَتَى): يُعْطِي
 يَتَزَكَّى (زَكَو): يربو وينمو
 مَا لِأَحَدٍ: ليس لأحدٍ
 تُجْزَى: تُثَابُ
 ابْتِغَاءً: طلب
 لَسَوْفَ يَرْضَى: بالتأكيد سيرضى في العاجل القريب

الخطوة الثانية: تفهّم بناء السورة

لهذه السورة سياقان في واحدة وعشرين آية:



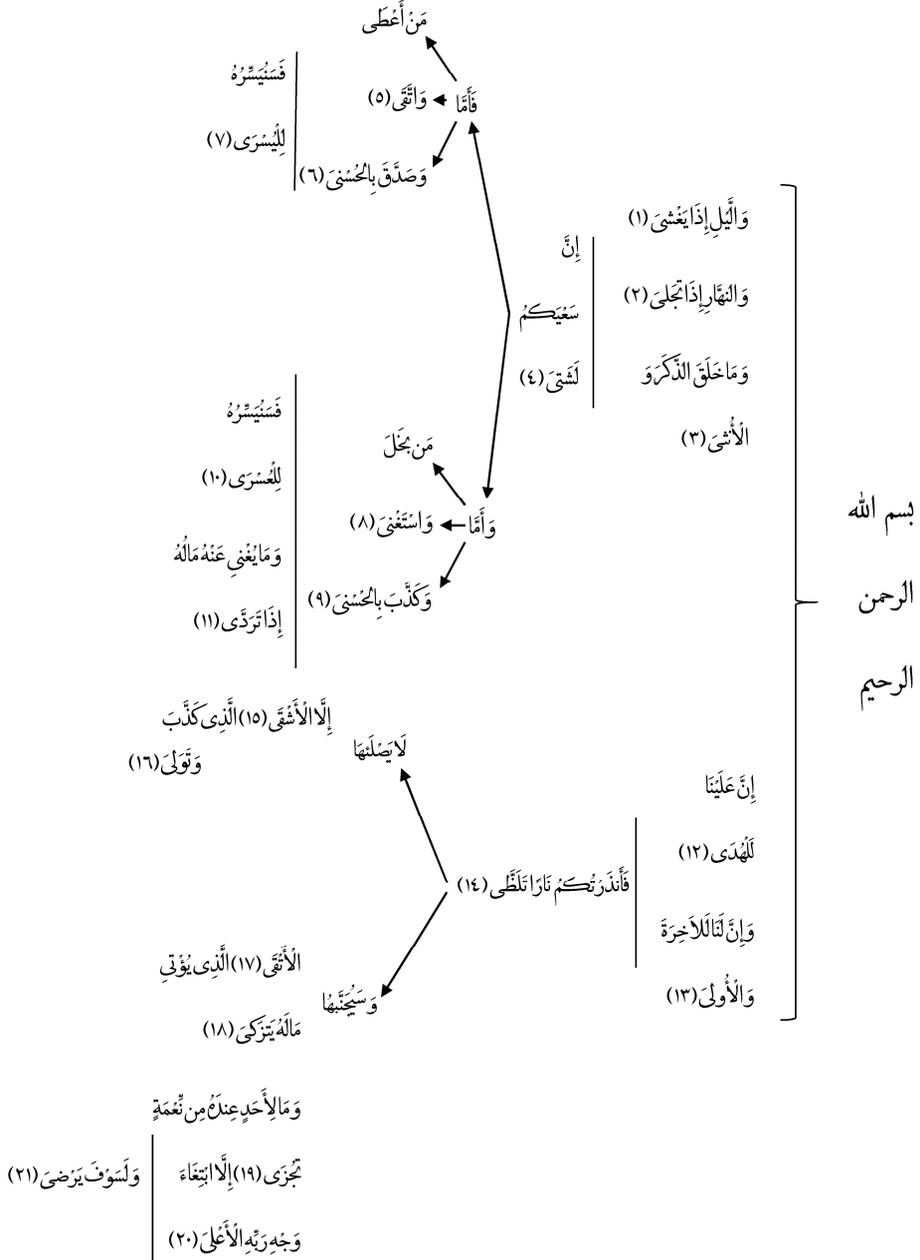
السياق الأول: ١ حتّى ١١

الآية الأولى قَسَمٌ، والآيتان الثانية والثالثة في حكم القَسَم كذلك، نظرًا إلى كونهما معطوفتين على الآية الأولى. الآية الرابعة جواب القَسَم؛ حيث ينبثق عنها فرعان: الفرع الأول: الآيات من الخامسة حتّى السابعة، والفرع الثاني: الآيات من الثامنة حتّى الحادية عشرة. آيات كلا الفرعين معطوفة على بعضها بحرفي "الفاء" و"الواو".

السياق الثاني: ١٢ حتّى ٢١

الآية الثانية عشرة تبدأ بحرف الاستئناف ﴿إِنَّ﴾ وتغيير الموضوع من هذه الآية إلى ما بعدها يدلّ على بداية سياق جديد. الآية الثالثة عشرة معطوفة على الآية السابقة، والآية الرابعة عشرة متفرّعة عنها. الآية الخامسة عشرة تُعدّ وصفًا آخر لكلمة ﴿نَارًا﴾ في الآية الرابعة عشرة. الآية السادسة عشرة تصف ﴿الْأَشْقَى﴾ في الآية السابقة. الآية السابعة عشرة أيضًا معطوفة على الآية الخامسة عشرة، وهي مثلها وصفٌ لكلمة ﴿نَارًا﴾. ﴿الَّذِي﴾ في بداية الآية الثامنة عشرة تصف ﴿الْآتِقَى﴾ في الآية السابقة لها، الآية التاسعة عشرة حالٌ لفاعل ﴿يَتَزَكَّى﴾ في الآية الثامنة عشرة؛ والتي تشكّل الآية العشرون استثناء لها. الضمير المستتر في ﴿يَرْضَى﴾ في الآية الأخيرة يعود إلى ﴿الْآتِقَى﴾ مثل الضمير في الآيات الثلاث السابقة.

خطوة الثالثة. تفهّم الجهة الإرشادية للسورة





نظرًا لبناء آيات السورة، فإنّ تفهّم الجهة الإرشادية للسورة، يتمّ أيضًا في قسمين:

القسم الأول: الإنفاق بإخلاصٍ يفسح الطريق في الدنيا، والبخل بتكذيبٍ يخلق

المشاكل في الدنيا (الآيات ١-١١)

إثبات أنّ الإنفاق بإخلاصٍ في الدنيا يؤدّي إلى السعة في حياة الإنسان، والبخل بتكذيب يسبّب المشاكل في الدنيا، يتمّ بثلاث فئاتٍ من الآيات.

١. سعي الناس مختلف (الآيات ٤-١)

السورة تبدأ بالقسم بالليل عندما يستر بظلامه كلّ شيءٍ: ﴿وَأَيْلِ إِذِ يَعْشَى﴾ وبالنهاري حينما يظهر فيضئ كلّ شيءٍ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ والله الذي خلق الذكر والأنثى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. ثمّ إنّها تؤكد هذه الحقيقة، وهي أنّ الناس مختلفون في مساعيهم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾.

أقسم الله بالليل والنهار، وبالذكر والأنثى، وهي أمور مختلفة ومتعارضة، ولهما تأثيرات متناقضة، وبعد ذلك أتى شرح اختلاف الناس في سعيهم. تارةً يكون الاختلاف في المساعي كبيرًا للغاية، وتارةً أخرى يكون قليلًا، كما أنّ الليل والنهار يختلفان كثيرًا؛ ولكنّ الذكر والأنثى اختلافهما قليل^١. ومن خلال مقارنة الآيات المتعلقة بالقسم وجوابها نستنتج أنّه يمكن لأعمال الناس أيضًا، أن تختلف كثيرًا مثل الليل والنهار، أو قليلًا مثل الذكر والأنثى.

٢. الإنفاق بإخلاص، نافع في الدنيا (آيات ٧-٥)

تشير السورة في تنمة البحث، إلى فئتين مختلفتين من الناس في السعي، حيث إنّ العطاء النابع من التقوى يلزمه تذليل الطرق (الأمور) وتعبيدها في الدنيا، ولكنّ البخل المصحوب بالاستغناء عن الله، يمهد الطريق ويشقّه نحو المشاكل في الدنيا.

الآية الخامسة تبينّ أحد هذين النوعين من سعي الإنسان في الدنيا: من كان عطاؤه قائمًا على التقوى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ويصدّق الوعد الإلهي الجميل بشأن جزاء عطائه: ﴿وَصَدَّقَ

١. إن بنية الرجل والمرأة وأدائها مختلفان؛ ولكنّ قيمتهما واحدة، وكلاهما يستطيع أن يكون إنسانًا كاملًا.

بِالْحُسْنَى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْهَلُ أُمُورَهُ فِي الدُّنْيَا: ﴿فَسُنِّيْزُهُ لِلْيُسْرَى﴾. إِنَّ جَمِيَّ كَلِمَةِ ﴿اتَّقَى﴾ بَعْدَ ﴿أَعْطَى﴾ يَصِفُ شَخْصًا مَّتَقِيًّا فِي عَطَائِهِ، وَهَذَا هُوَ نَفْسُ الْإِحْلَاصِ فِي الْإِنْفَاقِ.

٣. البخل مع التكذيب يخلق المشاكل في الدنيا (١١-٨)

السعي من النوع الثاني هو أن يبخل الإنسان في إنفاق ماله، ويرى نفسه مستغنياً عن الله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾. وفي ضوء الآية الخامسة التي تقابل هذه الآية، يمكن وضع ﴿بَخِلَ﴾ مقابل ﴿أَعْطَى﴾ و ﴿اسْتَغْنَى﴾ مقابل ﴿اتَّقَى﴾ ويمكن الاستنتاج عبر مقارنة الآيات بأن الاستغناء المذكور يجب أن يكون الاستغناء عن الله، كما أنه في ﴿اتَّقَى﴾ تقوى الله هي المراد. كذلك يوحي مجيء ﴿اسْتَغْنَى﴾ بعد ﴿بَخِلَ﴾ أن البخل يريد ببخله أن يستغني عن الله.

الميزة الأخرى للبخل هي أنه يحسب أفضل وعد إلهي بشأن ثواب الإنفاق، وعدًا كاذبًا وينكره: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾. والله يسير أمره في الدنيا إلى المشاكل: ﴿فَسُنِّيْزُهُ لِلْيُسْرَى﴾ لتظهر فيه ظروف تضيق وتعسر عليه أداء الحسنات.

كما أنه يحذر من أن المال الذي يبخل بإنفاقه، لن يجديه نفعًا عندما يموت ويفنى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، لأنه لا يستطيع أن يأخذ معه ذلك المال من الدنيا، ولا ذلك المال يمنع سقوط البخل في نار جهنم.^١

من مجموع الآيات في المجموعة الأولى والثانية نجد أن الإنفاق بالإحلاص ييسر الأمور في الدنيا، كما أن البخل مع التكذيب يوكد المشاكل في الدنيا.

القسم الثاني: الإنفاق يستوجب الرضوان في الآخرة، والبخل يستوجب النار. (الآيات

(١٢-٢١)

١. يقول الإمام الباقر عليه السلام في حديث موضحاً فيه هذا القسم من الآيات: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي بِالْوَجْدَةِ عَشْرَةَ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ فَمَا زَادَ - فَسُنِّيْزُهُ لِلْيُسْرَى قَالَ لَا يُرِيدُ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا يَسِّرَهُ اللَّهُ لَهُ. (الكافي، ج ٤، ص ٤٧)



إثبات كيف أنّ الإنفاق يستوجب الرضوان الإلهي في الآخرة، والبخل يستوجب دخول النار، يتمّ بمجموعتين من الآيات.

١. البخل يستوجب النار في الآخرة

آيات القسم الثاني من السورة تجيب على هذا السؤال، وهو: أيستوي الحكم الإلهي في حقّ هاتين المجموعتين المختلفتين؟

أولاً تؤكّد أنّ الهداية بيد قدرته: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ إذ يتمّ حجّته على الناس بتوجيه الإنسان نحو الهدى. كما أنّ الدنيا والآخرة له أيضاً: ﴿وَإِنَّا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾، وعليه، فلا أحد يستطيع أن يحول دون الإرادة الإلهية في ترتّب النتائج المختلفة على الأعمال. إنّ تقدّم ﴿الآخرة﴾ على ﴿الأولى﴾ يوحي بأهمية الآخرة على الدنيا؛ لأنّ الهدف النهائي والغاية الأساس هي الآخرة، وإن كانت الدنيا متقدّمة على الآخرة من حيث الزمن.

الآية الرابعة عشرة تستنتج من المقدمتين المذكورتين أنّها؛ حيث تُنذر بخطاب مباشر، أشقى الناس من دخول جهنّم: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْقَوْنَ لَآيَ صَ لَهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ وتعتبر هذا الأشقى رجلاً يكذب ويتولّى مُعرِضاً: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. نظرًا للآية ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ومقارنة الآيات، فإنّ التكذيب هو اعتبار الوعود الإلهية الحسنّة كذبًا.

٢. الإنفاق يستوجب الرضوان في الآخرة

إنّ أتقى الناس سيُعدّون عن تلك النار: ﴿وَسَيُحِبُّهَا الْأَتْقَى﴾. هذا المتقي هو الذي ينفق ماله في سبيل الله، ليتزكى وينمو: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾. ونستنتج من خلال مقارنة هاتين الآيتين مع الآية الخامسة أنّ أهمّ مصداقٍ عمليّ لتقوى الله، يتمثّل في الإنفاق المال إنفاقٍ إخلاصٍ، والهدف منه أيضًا هو التزكية والرشد المعنوي، لأنّه كلما كان الإنسان على استعداد ورغبة أكبر لنزع محبّة مال الدنيا من قلبه وإنفاقه من صميم كيانه في سبيل مرضاة الله، فإنه ينعم برضى الله بنفس هذه النسبة.



يمنح هذا المُنفق ماله، ولا أحد له حق في عنقه، ليكون إنفاقه بسبب ذلك: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾؛ بل إنما ينفق لمرضاة ربه الأعلى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾. يأتي هذا الكلام؛ لأن كثيراً من الإنفاق بين الناس ردُّ على إنفاق مماثل من طرف آخر. طبعاً إن الاعتراف بالجميل وردّه عمل جيد، لكنّ حسابه مختلف عن الإنفاقات المخلصة من جانب المتقين.

وأخيراً، فإن الثواب الأكبر لمثل هذا الشخص هو أنه سيرضى عن الله بثوابٍ حسنٍ في العاجل القريب: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ تماماً كما أنفق هو لمرضاة الله.

النتيجة

كما يُلاحظ في آيات القسم الأول من السورة (الآيات ٤-١١) فإن ربّ العالم يؤكّد بعد القسم في الآيات الثلاث الأولى، هذا الأمر الخطير، وهو أنّ سعي الناس مختلف، ومن أجل إثبات هذا الأمر يذكر الإنفاق بالإخلاص والبخل مع التكذيب كمثال على كيفية أنّ الإنفاق بالإخلاص يسهّل سبيل الإنسان في الحياة، والبخل مع التكذيب يعسر حياة الإنسان.

في القسم الثاني أيضاً ينذر الناس نار جهنم مؤكّداً أنّ الهداية في قبضة قدرته، ومن ثمّ يبيّن التجسيد الأخرى للإنفاق بالإخلاص والبخل مع التكذيب.

ونظراً إلى أنّه ضُربَ في قسمٍ من السورة، مثلاً على اختلاف مساعي الناس في الدنيا، وفي القسم الآخر تمّ تبيين هذا الاختلاف في الآخرة، يمكن القول بأنّ جهة السورة هي «لفت الأنظار إلى اختلاف نتيجة مساعي الناس في الدنيا والآخرة عبر مثال الإنفاق».

فهرس المصادر

القرآن الكرم

نصح البلاغة

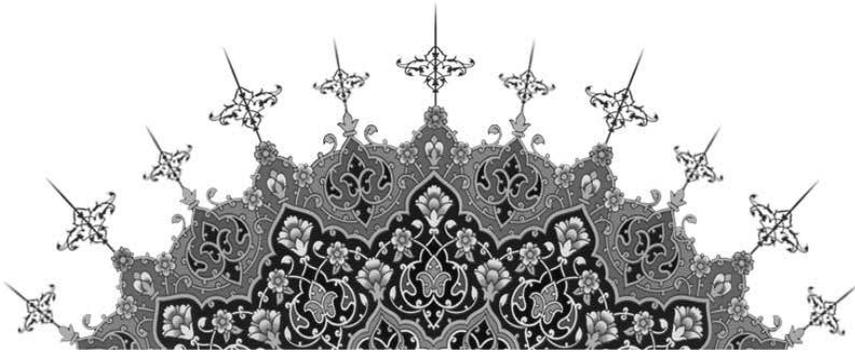
١. (الإمام) الخميني، سيد روح الله، آداب الصلوة، مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران، ١٣٧٣ ش.
٢. (الإمام) الخميني، سيد روح الله، صحيفه إمام (صحيفة الإمام)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران، ١٣٧٣ ش.
٣. إبراهيم بن عمر البقاعي، تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٤ م.
٤. ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، نشر جهان، طهران، ١٣٧٨ ش.
٥. ابن حماد، إسماعيل، الجوهرى، صحاح اللغة، دار العلم، بيروت، ١٣٧٦ هـ.
٦. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٦٦ هـ.
٧. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٩. ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، ترجمة محمد بروين جنابادي، مركز انتشارات علمي و فرهنگي، طهران، ١٣٦٢ ش.
١٠. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، قم، مؤسسة انتشارات العلامة، ١٣٧٩ هـ.
١١. ابن عاشور، التحرير والتنوير، دارالتونسية، تونس، ١٩٨٤ م.
١٢. أبوحيان، تفسير البحر المحيط، دارالكتب العلمية، القاهرة، ١٤١٣ م.
١٣. أحمد بن خليل، المسند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ.
١٤. إلهي زاده، محمد حسين، درسنامه‌ي تدبر در قرآن جزء ٣٠ (رسالة التدبر في القرآن الجزء ٣٠)، تدبر در قرآن وسيره (التدبر في القرآن والسيرة)، مشهد، ١٣٩٢ ش.
١٥. إلهي زاده، محمد حسين، درسنامه‌ي تدبر موضوعي قرآن (رسالة التدبر الموضوعي في القرآن)، تدبر در قرآن و سيره (التدبر في القرآن والسيرة)، مشهد، ١٣٩٣ ش.

١٦. الألوسي، سيّد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، بيروت، دارالكتب العلميّة، ١٤١٥ هـ.
١٧. الأمدي، غرر الحكم و درر الكلم، دارالكتاب الإسلاميّة، قم، ١٣٧٠ ش.
١٨. الأنصاري، مرتضى، فرائد الأصول، مؤسسة نشر إسلامي، قم، ١٣٧٠ ش.
١٩. بازركان، مهدي، سير تحوّل قرآن (مسار تطوّر القرآن)، طهران، انتشارات قلم، ١٣٦٠ ش.
٢٠. بازركان، مهدي، متدولوژی تدبّر در قرآن (منهجية التدبّر في القرآن)، شركة سهامی انتشار، طهران، ١٣٨٩ ش.
٢١. البخاري، فضائل القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ.
٢٢. البرقي، أحمد بن خالد، المحاسن، تحقيق: سيّد مهدي رجائي، الجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، قم، ١٤٠٨ هـ.
٢٣. جواديّ الآملي، عبدالله، تفسير موضوعي، قرآن در قرآن (التفسير الموضوعي، القرآن في القرآن)، إسرائ، قم، ١٣٧٠ ش.
٢٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد، صحاح اللغة، دارالعلم، بيروت، ١٣٧٦ هـ.
٢٥. الحرّ العاملي، الفصول المهمة، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، ١٤١٢ هـ.
٢٦. الحرّ العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، ١٤٠٩ هـ.
٢٧. حسن زاده الآملي، حسن، قرآن هرگز تحريف نشده است (فصل الخطاب في عدم تحريف كتاب ربّ الأرباب)، ترجمة عبدعلي محمّدي شاهرودي، منشورات قيام، قم، ١٣٧٣ ش.
٢٨. الحكيم، سيد محمّد تقّي، الأصول العامّة للفقّه المقارن، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، ١٩٧٩ م.
٢٩. حوي، سعيد، الأساس، دارالسلام، القاهرة، ١٤٠٤ هـ.
٣٠. الخوئي، أبوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ١٣٧٠ ش.
٣١. الدليمي، حسن بن محمّد، إرشاد القلوب إلى الصواب، الشريف الرضي، ١٤١٢ هـ.
٣٢. الذهبي، محمّد حسين، التفسير والمفسّرون، دارالقلم، بيروت، ١٤١٣ هـ.
٣٣. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دارالقلم، بيروت، ١٤١٢ هـ.
٣٤. رزي بلاشر (ريجي بلاشير)، در آستانه قرآن (القرآن)، ترجمة الدكتور محمود رامبار، دفتر نشر فرهنگ إسلامي (مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة)، طهران، ١٣٧٠ ش.
٣٥. رسالة سماحة القائد المعظّم للثورة إلى اجتماع مدرّسي مادة القرآن للسنة الأولى في الثانويات ٦٨/٧/٢٠.
٣٦. رسالة سماحة القائد المعظّم للثورة في الذكرى السنويّة الأولى لارتحال سماحة الإمام الخميني عليه السلام ٦٩/٣/١٠.
٣٧. الزركشي، محمّد بن بحادر، البرهان في علوم القرآن، دارالعرفة، بيروت، ١٤٠٨ م.
٣٨. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، قم، انتشارات بيدار، ج ١.



٣٩. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧ هـ.
٤٠. شرف الدين، سيّد عبد الحسين، **أجوبة المسائل**، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ١٣٨٦ هـ.
٤١. شريعتي، محمّد تقّي، **تفسير نوين**، دفتر نشر فرهنگ إسلاميّ (مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة)، طهران، ١٣٦٨ ش.
٤٢. الصدر، سيّد محمّد باقر، **دروس في علم الأصول**، (الحلقة الأولى)، مؤسسة نشر إسلاميّ (مؤسسة النشر الإسلاميّ)، قم، ١٣٧٠ ش.
٤٣. الصدوق، ابن بابويه، **الاعتقادات**، انتشارات علميّة إسلاميّة (المنشورات العلميّة الإسلاميّة)، طهران، ١٣٦٠ ش.
٤٤. الصدوق، ابن بابويه، **الأمال**، كتابخانه إسلاميّة (المكتبة الإسلاميّة)، طهران، ١٣٦٣ ش.
٤٥. الصدوق، ابن بابويه، **الخصال**، انتشارات علميّة إسلاميّة (المنشورات العلميّة الإسلاميّة)، طهران، ١٣٦٠ ش.
٤٦. الطباطبائيّ، محمّد حسين، **القرآن في الإسلام**، بوستان كتاب، قم، ١٣٨٨ ش.
٤٧. الطباطبائيّ، محمّد حسين، **الميزان**، دفتر انتشارات إسلاميّ (مكتب المنشورات الإسلاميّة)، قم، ١٤١٧ هـ.
٤٨. الطبرسيّ، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، انتشارات ناصرخسرو، طهران، ١٣٦٨ ش.
٤٩. الطريحيّ، فخر الدين بن محمّد، **مجمع البحرين**، منشورات مرتضويّ، طهران، ١٣٧٥ ش.
٥٠. الطوسيّ، محمّد بن حسن، **التيبان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٣١٤ هـ.
٥١. العامليّ، سيّد جعفر مرتضی، **حقائق هامة حول القرآن**.
٥٢. عبدالرحمن الميدانيّ، **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ**، دارالقلم، دمشق، ١٤٠٩ هـ.
٥٣. عبدالله جواديّ الأمليّ، **نزهت قرآن از تحريف (نزهة القرآن عن التحريف)**، إسرائ، قم، ١٣٧٩ ش.
٥٤. العسكريّ، حسن بن عبدالله، **الفروق في اللغة**، نشر جهان، طهران، ١٣٧٨ ش.
٥٥. العسكريّ، سيّد مرتضی، **القرآن الكريم و روايات المدرستين**، دارالكتب الإسلاميّة، طهران، ١٤٠٤ هـ.
٥٦. عليّ الصغیر، محمّد حسين، **دراسات قرآنيّة**، بوستان كتاب، قم، ١٤١٣ هـ.
٥٧. العياشيّ، محمّد بن مسعود، **التفسير**، مكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، ١٣٤٠ ش.
٥٨. الفيّوميّ، أحمد بن أحمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مؤسسة دارالهجرة، قم، ١٤١٤ هـ.
٥٩. قريشيّ، عليّ أكبر، **فرهنگ قاموس قرآن**، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٧١ ش.
٦٠. قطب، سيّد محمّد، **في ظلال القرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٣٦٨ هـ.
٦١. القميّ، عبّاس، **سفينة البحار**، دفتر انتشارات إسلاميّ (مكتب المنشورات الإسلاميّة)، قم، ١٣٧٨ ش.

٦٢. القمي، عباس، سفينة البحار، مؤسسة نشر إسلامي (مؤسسة النشر الإسلامي)، قم، ١٣٦٠ ش.
٦٣. كلمة سماحة القائد المعظم للثورة الإسلامية بمناسبة مولد سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ١٨/٧/٧٧.
٦٤. كلمة سماحة القائد المعظم للثورة الإسلامية في لقاء القراء المشاركين في الدورة الثالثة والعشرين لمسابقات القرآن الدولية ١٣٨٥/٧/٤.
٦٥. كلمة سماحة القائد المعظم للثورة في الحفلة الختامية لمسابقات تلاوة القرآن ١٤/١٠/٧٣.
٦٦. الكاشاني، فتح الله، منهج الصادقين، كتابفروشي إسلامية، طهران، ١٣٧٩ ش.
٦٧. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، أسوة، قم، ١٣٧٠ ش.
٦٨. الكوراني، علي، تدوين القرآن، دارالقرآن الكريم، قم، ١٣٦٨ ش.
٦٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٧٠. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليهم السلام، دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ ش.
٧١. محدث، سيد هادي، حميد صفار هرندي، وأبو الفضل علامي، آموزش ترجمه ومفاهيم قرآن (تعليم ترجمة القرآن ومفاهيمه)، بنياد قرآن وعترت سپاه پاسداران انقلاب اسلامي (مؤسسة القرآن والعترت التابعة لحرس الثورة الإسلامية)، طهران، ١٣٨٦ ش.
٧٢. محمد حسين، الذهبي، التفسير والمفسرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٦ هـ.
٧٣. محيي الدين، ابن عربي، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، نصر، دمشق، ١٤٠٤ هـ.
٧٤. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دارالفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٧٥. مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، دارالكتب الإسلامية، بيروت، ١٤٣٠ هـ.
٧٦. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، مؤسسة نشر إسلامي (مؤسسة النشر الإسلامي)، قم، ١٣٨٩ ش.
٧٧. المظفر، محمد رضا، التهذيب، مؤسسة نشر إسلامي (مؤسسة النشر الإسلامي)، قم، ١٣٨٠ ش.
٧٨. المفيد، المسائل السروية، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، ١٣٦٠ ش.
٧٩. النجفي، جعفر بن خضر، (كاشف الغطاء)، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي حوزة علميه قم (منشورات مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم)، قم، ١٤٢٢ هـ.
٨٠. نقي بور، ولي الله، پژوهشي پيرامون تدبّر در قرآن (دراسة حول التدبّر في القرآن)، أسوة، طهران، ١٣٧١ ش.
٨١. الهندي، علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.



لمحة خاطفة عن المؤسسة

سماتها و ميزاتها



أهداف المؤسسة

وُضِعَ الحجر الأساس لمؤسسة التدبّر في القرآن والسيرة لتزيد الجماهير إيماناً وعملاً عبر التدبّر في القرآن والسيرة، وذلك في سنة ١٣٨٧ ش، الموافقة لـ ٢٠٠٨ م.

فرع الإخوة، والأخوات

لهذه المؤسسة فرعان مستقلّان، أحدهما للرجال والآخر للنساء؛ حيث يقومان بنشاطات تدور في فلك التدبّر.

وقف المؤسسة

تمّ وقف المؤسسة بكامل امتيازاتها وإمكاناتها ومرافقها سنة ١٣٩٣ ش - ٢٠١٤ م، عملاً بسيرة أهل البيت عليهم السلام، واستمراراً لمسيرة التدبّر في القرآن والسيرة.

الرؤية التكاملية للقرآن والسيرة

هي محور نشاطات هذه المؤسسة في مجال التدبّر في القرآن والسيرة.

سيادة روح الولاء لكوادر المؤسسة

جميع كوادر المؤسسة مؤمنون، وملتزمون بنظام الجمهورية الإسلامية، ومبدأ سيادة الوليّ الفقيه.

إشراف خبير حوزويّ في حقل القرآن والسيرة، على المؤسسة

تعمل هذه المؤسسة تحت إشراف الأستاذ البارِع للحوزة العلميّة، سماحة حجّة الإسلام والمسلمين محمّد حسين إلهيّ زاده.

تراخيص المؤسسة

حصلت هذه المؤسسة على تراخيص من كلّ من: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ومنظمة الإعلام الإسلاميّ، واتحاد مؤسّسات القرآن والعزّة في البلاد، واتحاد المؤسسات القرآنيّة.

منشورات التدبّر في القرآن والسيرة

نالت هذه المؤسسة رخصة النشر باسم "التدبّر في القرآن والسيرة"، وذلك سعياً وراء التنظيم والإسراع في النشاطات البحثيّة المتعلّقة بالتدبّر في القرآن والسيرة، طباعةً وتوزيعاً.

الفروع التخصصيّة

يمرّ الفرع المتخصّص في تاريخ أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم، للمستوى الثالث الحوزويّ، والفرع المتخصّص في التدبّر في القرآن لمرحلة الماجستير للجامعات، يمتاز بعملية المصادقة في هيئة التوسيع للحوزة العلميّة ووزارة التعليم العالي.



مشروع مقرر في لجنة القرآن بالمجلس الأعلى للثورة الثقافية

صودق على مشروع التدبير في القرآن سنة ١٣٨٣ ش - ٢٠٠٤م في لجنة القرآن في المجلس الأعلى للثورة الثقافية.

و أخيراً وليس آخراً

اختيار كتاب السيرة بوصفه كتاب العام، انتساب المؤسسة إلى مجلس المحافظة لتوسعة النشاطات القرآنية، المؤسسة الوحيدة الرائدة في ترويج التدبير في القرآن والسيرة، واختيارها باعتبارها أفضل المؤسسات في محافظة خراسان، تلك هي الأخرى، نبذة من سمات المؤسسة وميزاتها.

نشاطات تعليمية للمؤسسة

عناوين الدورات التعليمية للمؤسسة

دورات تخصصية

١. دورة إعداد مدرّس التدبير في القرآن ٢. دورة إعداد مدرّس التدبير في السيرة ٣. دورة إعداد مدرّس التدبير الموضوعي
كلّ دورة تخصصية تضمّ ٦ موادّ دراسية، حيث تشمل بشكل إجماليّ ١٢ وحدة تعليمية (١٩٢ ساعة).

المشاركون في الدورات التخصصية هم الطلاب في المستوى الثالث من الدراسة الحوزوية، والطلبة الجامعيون في مرحلة الماجستير، أو الناشطون في الحقل القرآنيّ.

دورات عمومية

١. الدورة العمومية للتدبير في القرآن

الدورة العمومية للتدبير في القرآن تضمّ ستة دروس كلّ واحد منها يعادل وحدتين دراسيتين (٣٢ ساعة).

- التدبير في القرآن(١): التدبير في السُّور من الناس حتّى الضّحى
- التدبير في القرآن(٢): التدبير في السُّور من الليل حتّى النّبأ
- التدبير في القرآن(٣): التدبير في السُّور من المرسلات حتّى الملك
- التدبير في القرآن(٤): التدبير في السُّور من التحريم حتّى المجادلة
- التدبير في القرآن(٥): التدبير في السُّور من الحديد حتّى الطور



- التدبّر في القرآن (٦): التدبّر في السُّور من الدّارات حتّى محمّد ﷺ
و يمكن التدبّر في السور الأخرى من القرآن، بطلبٍ من الجمهور المشاركين.

٢. الدورة العموميّة للتدبّر في السيرة

الدورة العموميّة للتدبّر في السيرة تضمّ درسين، يعادلان وحدتين دراسيتين (٣٢ ساعة).

- التدبّر في السيرة (١): التدبّر في سيرة الأنبياء ﷺ
- للتدبّر في السيرة (٢): التدبّر في سيرة أهل البيت ﷺ

٣. الدورة العموميّة للتدبّر الموضوعيّ في القرآن

الدورة العموميّة للتدبّر الموضوعيّ في القرآن، تضمّ عشرة دروس، كلّ واحد منها يعادل وحدتين دراسيتين (٣٢ ساعة).

١. معارف القرآن والعترة (١): معرفة الله، والتوحيد العمليّ ٢. معارف القرآن والعترة (٢): العبادات الاجتماعيّة ٣. معارف القرآن والعترة (٣): معرفة القرآن، ومعرفة النبيّ ٤. معارف القرآن والعترة (٤): معرفة الإمام ٥. معارف القرآن والعترة (٥): معرفة المعاد ٦. نمط الحياة الإسلاميّة (١): الأخلاق الفرديّة ٧. نمط الحياة الإسلاميّة (٢): الأخلاق الأسريّة ٨. نمط الحياة الإسلاميّة (٣): الأخلاق الاجتماعيّة ٩. التربية السياسيّة الاجتماعيّة الوحيانيّة ١٠. مسار العمل بالقرآن

تنظيم الدورات

- تمّ تنظيم الدورات التعليميّة للمؤسسة حضورياً وعن بُعدٍ.
- إليكم بعضاً من أهمّ المشاريع التعليميّة (على صعيد المحافظة والبلاد)
- مشروع "أولوالألباب" الوطنيّ (دورة إعداد مدرّسين للتدبّر في القرآن) بالتعاون مع اتحاد المؤسسات القرآن والعترة في البلاد.
- مشروع "التقرّب" الوطنيّ (دورة تعليميّة للتدبّر في القرآن) بالتعاون مع دار القرآن الكريم التابعة للعتبة الرضويّة المقدّسة، مركز تنظيم شؤون المساجد في محافظة خراسان.
- مشروع تعليميّ للتدبّر في القرآن، خاصّ بالأساتذة والمدراء والمعلّمين في المؤسسات القرآنيّة بمحافظة خراسان الرضويّة.
- المشروع التعليميّ للتدبّر في القرآن، بالتعاون مع المنظّمة الثقافيّة - الترويجيّة التابعة لبلديّة مشهد.
- المشاركة في إقامة دورات التدبّر في القرآن، والتدبّر في السيرة، مع دار القرآن الكريم التابعة للعتبة



- الرضويّة المقدّسة، منذ عام ١٣٨٥ ش - ٢٠٠٥ م .
- المشاركة في إقامة دورات التدبّر في القرآن، خاصّة بالأستاذات في الحوزة العلميّة للنساء على صعيد البلاد، بالتعاون مع إدارة الحوزات العلميّة للنساء في قم.
 - المشروع التعليميّ للتدبّر في القرآن، خاصّ بالأستاذات في الحوزة العلميّة للنساء، بالتعاون مع إدارة الحوزة العلميّة في خراسان.
 - المشروع التعليميّ للتدبّر في القرآن، خاصّ بأئمة المساجد، بالتعاون مع مركز تنظيم شؤون المساجد بمحافظة خراسان.
 - المشروع التعليميّ للتدبّر في القرآن، خاصّ بطلّاب المستوى الثالث، بالتعاون مع إدارة الحوزات العلميّة في خراسان، منذ عام ١٣٨٩ ش - ٢٠٠٨ م.
 - المشاركة في إقامة مشروع "گامي به سوي آسمان" (خطوة نحو السماء)
 - المشاركة في إقامة صفوف التدبّر في القرآن والسيرة، سنويّاً في حوزة العلوم الإسلاميّة للجامعيّين.
 - مشروع "أهل الذّکر" التعليميّ، بمشاركة سبع مؤسسات قرآنيّة على مستوى مدينة مشهد، خاصّ بشهر رمضان المبارك.
 - إقامة دورات تعليميّة متعدّدة ضمن العمل، خاصّة بالمعلّمين والمعلّمت، بالتعاون مع إدارة التربية والتعليم.
 - إقامة دورة التربية السياسيّة الاجتماعيّة الوحيانيّة، للنخبة الحوزويّين وأئمة المساجد، في المحافظات الأربعة: خراسان الرضويّة، خراسان الشماليّة، خراسان الجنوبيّة، جلستان.
 - إقامة دورة إعداد مدرّسي التدبّر في القرآن، بالتعاون مع مع دار القرآن الكريم التابعة للعتبة الرضويّة المقدّسة، مدرسة مشكات العلميّة بطهران. مؤسّسة "ذكري" في طهران، مؤسّسة "كبوتران حرم" (حمامات الحرم) في يزد، مؤسّسة الغدير في شيراز، روضة القرآن في قزوین، روضة القرآن في تبريز، دار القرآن لمدينة "جم" في محافظة بوشهر، مكتب الإعلام الإسلاميّ بمحافظة خراسان الرضويّة، جامعة الإمام الصادق عليه السلام، العلوم والمعارف للأوقاف بجامعة شيراز.
 - إقامة دورات التدبّر في القرآن والسيرة، في أكثر من ١٥٠ مؤسّسة، ومسجداً، وجامعةً، ومعهداً تعليمياً.



نشاطات بحثية

كتب منشورة

مؤلفات سماحة حجة الإسلام والمسلمين إلهي زاده

١. رسالة التدبر في القرآن (الجزء ٣٠) ٢. رسالة التدبر في القرآن (الجزء ٢٩) ٣. رسالة التدبر في القرآن (الجزء ٢٨ - ٢٩) ٤. رسالة التدبر في القرآن (الجزء ٢٧) ٥. تعزيز الحضارة الوحيانية (سيرة الإمام علي والسيدة الزهراء عليهما السلام) ٦. التدبر الموضوعي في القرآن (مبادئ، أسس، منهجية وتطبيق) ٧. التدبر في السيرة الحضارية للأنبياء عليهم السلام ٨. العبادات الاجتماعية ٩. التربية السياسية الاجتماعية الوحيانية ١٠. التدبر الترتيبي في القرآن (مبادئ، أسس و منهجية) ١١. التدبر في السيرة الحضارية لأهل البيت عليهم السلام

مؤلفات سماحة حجة الإسلام والمسلمين مقامي

١. التدبر في القرآن من منظور القرآن، وأهل البيت عليهم السلام، والإمام الخميني، وسماحة القائد ٢. الأستاذ المثالي، التلميذ النموذجي ٣. نمط الحياة وفق رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام ٤. لنبدأ بأنفسنا (تهذيب روح طلب العلم من منظور سماحة القائد المعظم للثورة) ٥. الثقافة و الإدارة الجهادية ٦. ملامح التدبر ٧. رسالة في معرفة الإمام

كتب قيد الطبع

١. رسالة التدبر في القرآن (الجزء ٢٦) ٢. تأسيس الحضارة الوحيانية (سيرة الرسول الأعظم عليه السلام) ٣. التدبر في سورة يوسف عليه السلام ٤. التدبر في سورة النور

أقراص مدمجة

١. التدبر في القرآن (الجزء ٣٠) ٢. التدبر في القرآن (الجزء ٢٩) ٣. التدبر في القرآن (الجزء ٢٨) ٤. التدبر في القرآن (الجزء ٢٧) ٥. التدبر في القرآن (الجزء ٢٦) ٦. التدبر في السيرة الحضارية لأهل البيت عليهم السلام (أسس، ومبادئ) ٧. التدبر في السيرة الحضارية لأهل البيت عليهم السلام (سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام) ٨. مسار العمل بالقرآن في ضوء اتباع سيرة أهل البيت عليهم السلام ٩. العبادات والعلاقات الاجتماعية ١٠. التدبر في السيرة ١١. التعريف بالنظام الشامل للتدبر في القرآن والسيرة ١٢. التدبر بين السُّور ١٣. التدبر في سورة الشعراء ١٤. الوقف في القرآن ١٥. التذکر القرآني ١٦. إطلاة على نماذج من التدبر في القرآن ١٧. التربية السياسية في الملحمة الحسينية ١٨. التربية السياسية الاجتماعية الوحيانية ١٩. الفتنة، مواجهة بين أتباع الحق وأدعياء الحق ٢٠. التدبر في زيارة عاشوراء ٢١. التدبر في خطبة الغدير ٢٢. ملامح التدبر